نحو انتاج أصيل

في العدد الماضي اعلنا اننا في حاجة الى نهوض فكري ، وفي حاجة الى بعث ثقافي ، وفكر يعمل ، ويوجه ، ويغوص في اعماق حياتنا ووجودنا ليجلو حقيقتنا وارادتنا وقيمنا ، وربّ قائل يرد على دعوانا بان في المغرب اكثر من صحيفة واكثر من مجلة تزخر بانتاج متنوع ، وان عددا من الكتب صدر في الفترة الاخيرة ، وعشرات المحاضرات تلقى ، وان ملفات الهيئات الوطنية تحتوي على عدد من التقارير ، وكتابات مغربية التي تعتبر ثروة فكرية ، ولكن مع اقرارنا بان هناك نشاطا متزايدا كميا ، فما من احد يستطيع ان يعترض على ملاحظتنا بان هذا الانتاج في معظمه تنقصه الاصالة ، وانه لا يعدو ان يكون جمعا وترجيعا لافكار ونظريات ترددت اصداؤها في الشرق والغرب . الى اين تعزى هذه الظاهرة اذن ؟ اننا لا نشك اطلاقا في قدرة الانسان المغربي على الخلق والابداع ، ولذلك فنحن مدفوعون ، حتما ، الى التماس عوامل هذه الظاهرة في مجتمعنا الذي لا يخلو من معوقات تحول دون تفتح الفكر ، وانطلاق شرارته الخلاقة . ونكتفي بان نلمع في هذه العجالة الى بعض العوامل ، تاركين الباب مفتوحا في اعدادنا القادمة لمن شاء ان يفصل .

ان الابداع لا يتاتى الا مع الصدق ، ولا ينشا الا من ممارسة الانسان لافكاره وحقيقته ، ولذلك نحس بان الانتاج الذى نقــراه ، غالبا ، خاليا من حرارة الصدق ، بعيدا عن حقيقة الذين انشاوه ، ولا ينبع فى الواقع من صدق اهتماماته ومعاناتهم فهو انتاج تشعر معه بانه صنع لارضاء بعض الظروف او لمسايرة بعضها الاخر ، او لكسب مغنم.

ثم هناك ظاهرة اخرى ترافق ما اشرنا اليه ، لها نصيبها فى خنق كل روح خلاقة وهى ان عددا من المثقفين ــ نظرا لاعتبارات عديدة ــ يجدون انفسهم ملزمين باحتلال اماكن لم يهياوا لها ، فالذى يمكن ان يعطى عطاءا نافعا فى ميدان التعليم ، طلب اليه ان يبذل جهودا غريبة عنه فى ميدان الفلاحة ، والذى يمكن ان يبدع فى ميدان الفن طلــب اليه ان يوجه جهوده فى ميدان الديبلوماسية وهكذا دواليك .

على ان هناك ظاهرة خطيرة فى مجتمعنا تكاد تنسحب آثارها على كل الميادين بما فيها ميدان الثقافة والفكر ، ان الابداع كعطاء جديد يحتاج الى جهد، وصبر، ومعاناات. والذين يتاملون اوضاعنا الراهنة يدركون ان عمليات العطاء تكاد تتوقف، وان كل انسان يحاول ان ياخذ اكثر مما يعطى ، يحاول ان يكسب باقل من الجهد والثمن ، وبدون جهد او ثمن اذا امكن ، فالمثقفون الواعون ، اذن ، مطالبون مرة اخرى بادراك هذه العوامل وغيرها وبمنح مجتمعهم قيما جديدة ، وتحريره من اسار هذه المعوقات والدخول معه فى تفاعل جدلى ليصبح مجتمعا حيــــا معطاءا .

اقـــــلام

مسؤولية المثقفين في البلدان المتخلفة

بقلم الاستاذ : محمد عابد الجابرى

اعتقد انه ليس ثمة حاجة الى التاكيد على ان مسؤولية المثقفين فى البلدان المتخلفة ، لا يمكن تحديدها وابراز معالمها الا على ضوء معطيات الواقع الذى تعيشه هذه البلدان .

فما هى هذه المعطيات ، او ما هى السمات الرئيسية للمجتمع المتخلف ؟

ان نظرة عجلى الى بنية مجتمعات البلدان المتخلفة ــ كبلدنا ــ تكشف عن عديد من هذه السمات. ولعل ابرزها ما يلى :

١ ــ ان المجتمع المتخلف مجتمع فوضوى التركيب : الطبقات لم تتضح حدودها بعد ، ولم ينفصل بعضها من بعض ، فالفروق الطبقية تكاد لا تلمس !

لمـــاذا ؟

ا ـ لان وسائل الانتاج هى فى معظمها فى ايد الاجانـــب ، ولان البورجوازية الوطنية الناشئة لم تستقل بعد مصالحها عن مصالـــح الاجنبى المسيطر ، فمهمتها تنحصر غالبا فى دور الوسيط .

ب ـ والطبقة الكادحة ، من عمال وفلاحين ، لم تنفصل عـــن البورجوازية والاقطاع انفصالا تاما ، لان « رباط » الوطنية الذى اطر جميع قوى المجتمع ضد الاجنبى ايام الكفاح من اجل الاستقلال ، لا زال مفعوله لم يضمحل ، ولان البورجوازية الوطنية نفسها لم تبـــرز بعد كقوة وكخصم تاريخى للعمال مما جعل الوعى الطبقى فى هـــذه المجتمعات ضئيلا او منعدما .

ج ـ وجماهير الفلاحين ، وهى الاغلبية الساحقة من السكـــان، لا تزال شبه مستعمرة يتحكم فيها الاقطاع والمعمرون ، كما انها ما تزال لم تتخلص بعد من الروح القبلية البدائية التى جعلتها ترى فى الاقطاع ظاهرة طبيعية مقبولة تزكيها التقاليد والمعتـــقـــدات والاوهام ، وفى رؤساء القبائل اشخاصا لا يمكن الا ان تدين لهم بالولاء .

٢ ـ نظام الحكم فى هذه المجتمعات ، هو غالبا ، نظام تحكمـــى يعمل جادا على ابقاء الوضع الراهن على ما هو عليـــه . فهو يهادن الاجنبى ، ويتعامل معه ، بل ربما يستغيث به عند الحاجة حفظـــا لسلطته وللمصالح التى اكتسبها من عهود الاقطاع المظلمة او من فترة الاستعمـــار .

٣ ـ وعى الجماهير فى هذه البلدان ، وعى « منقطع » ينقصه الاستمرار ، ويفتقد سعة الافق ، وقوة التفكير . انه وعى كثيرا ما لا يتعدى كونها تشعر بالظلم والحرمان والجهل .

٤ ــ والفئة الواعية حقا ، او المفروض فيها ان تكون كذلك ، هى فئة المثقفين ، وهى فئة ضئيلة العدد ، قليلة الامكانيات ، غير مرغوب فيها من طرف القوى المتحكمة الا اذا برهنت عن استعدادها للسير فى ركاب هذه القوى والعمل على خدمتها .

×××

تلك فى نظرى اهم صفات مجتمع البلد المتخلف المستقل حديثا . وعلى ضوء هذه الصفات يمكن لنا ان نحدد مسؤولية هذه الفئة الاخيرة، فئة المثقفين ((الواعية)) .

فما هى حدود هذه المسؤولية ؟

لا شىء يحدد طبيعة هذه المسؤولية غير طبيعة هذا الواقع الذى تعيشه شعوب هذه البلدان ، و ((الواقع)) الذى تنزع اليه . وما هذا الواقع الجديد الذى تتطلع اليه الجماهير الا الواقع الذى تتحقق فيه تلك الصورة الذهنية المثلى التى كانت تمطيها لمفهوم الاستقلال ايام كانت تناضل من اجله ! ان كلمة الاستقلال لم تكن تعنى لدى الجماهير مجرد استبدال حكام دخلاء بحكا موطنيين فقط ، بل كانت تعنى فى ذات الوقت استبدال اوضاع متفسخة يسيطر فيها الظلم والحيف والفاقة والجهل ، باوضاع جديدة اساسها كرامة الفرد ، وكرامة المجموع ، اوضاع لا مكان فيها للظلم والتحكم والحرمان .. ومما ساعد على تركيز هذه الصورة فى ذهن الجماهير تلك الاساليب الدعائية التى عمدت اليها البورجوازية الوطنية اثناء الكفاح ضد الاجنبى ، وهى اساليب قصد منها تحميس الجماهير فى نضالها ضد الدخيل اكثر من العمل على توعيتها وتفتيح ذهنها وارشادها الى طريق

النضال الصحيح ، النضال الهادف المثمر . الشيء الذى جعل تلك الصورة صورة مغرية مموهة ، ولكنها مشوهة .

والمثقفون ، وهم الفئة الواعية التى اكسبتها ثقافتها موضوعية التفكير ووضوح الرؤيا ، والقدرة على التحليل والمحاكمة المنطقية ممّا يجعلهم فى حصن من ان تنطلى عليهم اساليب البورجوازية ومن ان يخيفهم تحكم المتسلطين ، ان المثقفين هؤلاء ، هم وحدهم القادرون على تصحيح تلك الصورة فى الذهن الجماهيرى ، ورسم الطريق الصحيح لتحقيقها فى حيز الواقع الملموس .

ومن هنا نستشف بعض جوانب المسؤولية الملقاة على عاتق المثقف .

ان تصحيح تلك الصورة يتطلب ، كمقدمة اساسية ، تعرية الواقع المؤلم الذى تعيشه الجماهير، وتركيز مظالم هذا الواقع فى بؤرة شعورها تركيزا يجعلها تحيا هذه المظالم كجزء من ديمومتها، كما يتطلب فضح البورجوازية واساليبها ودورها الوظيفى كعميل وسمسار للاستعمار وللقوى الاجنبية ، وطرح مشكلة الاقطاع امام الفلاحين البؤساء ، طرحا يجعلهم يقتنعون بأن بؤسهم هذا ليس الا نتيجة مباشرة لوجود الاقطاع ، كما يتطلب اخيرا رسم طريق النضال الثورى الهادف لنسف هذا الواقع والشروع فى بناء اوضاع جديدة تتحقق فيها آمال واهداف الجماهير .

×××

يتضح مما تقدم ان دور المثقفين فى الشعوب المتخلفة هو فى الاساس دور طلائعى . وهو دور تدركه الجماهير ربما اكثر مما يعيه

المثقفون انفسهم : ذلك لان الجماهير تنظر الى المثقف على انه «الانسان امتياز» .فهى تضفى عليه اقصى ما يمكن ان تتخيله من درجات الفهم والعرفان والتفكير ، وابعد ما يمكن ان نتصوره من مناقب واخلاق . وهى عندما تنزل المثقف مثل هذه المنزلة ، لا ترى فيه شخصا بعيدا منها منفصلا عنها ، بل بالعكس تحس به اقرب ما يكون اليها . انها ترى فيه « صورتها النموذجية » تماما كما يرى الاب فى ابنه الصغير البرىء صورته المثلى محملا اياه جميع امكانيات الخير والصلاح . وبعبارة اخرى ، انها تعتبره نتاجها الخاص ، ملكها الخاص ، منقذها الذى صنعته بيدها ، وغذته بقلبها .

ان الثقافة امانة فى عنق صاحبها ، ومسؤولية حملها اياه المجتمع مقابل ذلك « الامتياز الثقافى » الذى يكسب المثقف اعتبارا وتقديرا . والجماهير تدرك بحدسها الفطرى هذه الحقيقة ، فهى ترى فى المثقف واحدا من « بينها » واتته الظروف ليأخذ اكثر بكثير مما اخذت هى من حق مشاع تتساوى فيه حظوظ الجميع . لذلك فهى لا تفتا تطالبه بالعطاء عطاء خصبا مسترسلا ، عطاء يتناسب مع اخذه ، ذاك الكثير . !

فالمثقف مطالب دائما ، مدين ابدا ، مسؤول دوما .

انه فى اعتبار الجماهير ، بمثابة الطبيب الذى ان لم يعمل على استئصال الداء من الواقع المريض الذى تعيشه ، فلا اقل من ان يرسم لها نظاما — ريجيم — من شانه ان يخفف من وطاة هذا الداء ريثما يتهيأ الدواء .

ورغم انه فى كثير من الحالات قد لا يتمتع المثقف بالاستمدادات والمؤهلات الذاتية التى تمكنه من القيام بهذا الدور الطليعى ، فان

الجماهير ، شعورا منها بذلك الامتياز الذى يتمتع به ، فى الوقت الذى تحس هى بمرارة الحرمان منه ، لا ترحمه ابدا ، ولا تفهم مطلقا كيف يعقل ان تستغرقه دوامة عمله واشغاله الخاصة ، وان يتأخر نتيجة لذلك عن مركز الطليعة ! انها ترى فيه ذلك الابن الذى لا يمكن الا ان يكون بارا بوالديه مضحيا من اجلها ، والا اتهمته بالعقوق ، فتنفض يدها منه ، ولكنها لا تملك عقابا له الا النظر اليه باحتقار ممزوج بالشعور بالخيبة .

×××

ان نظرة الجماهير هذه الى المثقف تضعه امام مسؤوليات خطيرة :

ـ انه مسؤول عن نفسه . والقيام بهذه المسؤولية يتطلب منه ان يكون اخلاقيا طوية وسلوكا ، لا مجال للانتهازية والانانية والانحراف فى تصرفاته وسلوكه .

ـ وهو مسؤول ـ بمعنى ما من المعانى ـ عن مجتمعه ، وهذا يستلزم ان يعيش المثقف داخل المجتمع لا خارجه ، يحيا آلامه وآماله ، متحملا النصيب الاوفر منها ، شاعرا بها شعورا عميقا صادقا فاعلا .

ـ وهو مسؤول ـ بشكل ما من الاشكال ـ عن المستقبل . وهذا يتطلب منه ان يكون عضوا فعالا فى صفوف الجماهير تتجلى فعاليته فى كونه المحدد للهدف ، الراسم لسبيله ، الدافع اليه .

فالمثقف ، ليس انسان « المتوقعة » ، بل هو للاخرين وللمستقبل معا ، بمقدار ما هو لنفسه : انه كالمصباح ينير ذاته ، وينير محيطه ، فيهتدى بنوره هو والاخرون معه ، فى مسيرة يحتل مكان الطليعة فيها .

انها مسؤولية عظيمة ضخمة !

على ان هناك حقيقة اخرى مهمة تزيد من ضخامة وعظمة هذه المسؤولية . وهى ان جل المثقفين فى البلدان المتخلفة — ان لم نقل كلهم — هم شباب . وهنا تبدو مسؤولية الشباب مزعجة مخيفة .

فالمثقف فى هذه البلدان ليس مطالبا فقط بالقيام بدور طلائعى فى ميدان الفكر والتوجيه ، بل مطالب ايضا بالعمل . انه لا يقبل منه ان يقوم بدور المفكر الموجه الدائم من وراء حجاب . بل ان الاحتكاك الدائم بالجماهير ، والعمل معها جنبا الى جنب ، متطلب اساسى من متطلبات المسؤولية الملقاة على عاتقه .

انه السائق ، وهو الوقود فى آن واحد : ثقافته مقود . وشبابه قوة محركة دافعة .

× × ×

واضح ان هذه الصفات التى خلعناها على المثقف هى فى الحقيقة صفات « المثقف الثورى » .. ولكن ماذا عسى ان يكون المثقف فى البلدان المتخلفة ان لم يكن ثوريا .!؟

أيكون ذلك الذى اضاع ثقافته ، واضاع مسؤوليته ، فاصبح لا يحسن الا القراءة والكتابة ، ويعيش بهذا الذى يحسنه منهما ، استاذا او موظفا ، غارقا فى فراغه ، مجترا لذكرياته — وما اتفهها — راكضا وراء ما يسمى بـ «الانديس» والتعويضات !؟

ام انه هو ذلك الذى يعيش فى نوع من « التعالى » خارج الدوامة ، بعيدا عن واقعه وواقع مجتمعه ، مستوعبا بشكل ما جانبا

من جوانب ثقافة الماضى ، ومتتبعا بشكل ما جانبا من جوانب ثقافة العصر الحاضر ، محلقا فى اجواء فكرية ، لا نهائية قد لا تنتهى به الى هدف او سبيل ؟

ان الثقافة التزام ، والتزام يستمد ابعاده من الواقع ومـــن الشرو طالضرورية لتغييره او تحسينه .

والواقع الذى تعيشه شعوب البلدان المتخلفة هو ـــ كمـــا وصفناه ـــ واقع مريض ، ليس فى حاجة ـــ بالطبع ـــ الى من يمتص دمه ، ولا الى من يمطيه امثلة ودروسا فى فن التجميل ، وانما هو فى حاجة ملحة الى اجراء عملية جراحية تستأصل الداء الخبيث من جسمه الـــغـــض .!

ان الثورية بعد اساسى من ابعاد كل مثقف يعيش ـــ راضيا او مكرها ـــ فى مجتمع متخلف، وبدونها يصبح لقيطا طفيليا، لصا انانيا، ربيبـــا للرجعية والبورجوازية والاقطاع ، خطره على المجتمع اعظم واهول من خطر هذا الثالوت اللعين .

محمد عابد الجابرى

كبـــوة الـــريح

للشاعر احمد المجاطي

على المحيط يستريح الثلج والسكوت
تسمـــر الموج على الرمـــال
والريـــح زورق بـــلا رجـــال
وبعـــض مجـــذاف وعنكبـــوت
من يشعل الفرحة فى مدامعى رجوع، من يوقظ المملاق من يمـــوت

* * *

رائحة الموت على الحديقة
تهـــزأ بالفصـــول
وانت يـــا صديقة
حشرجـــة ودمعـــة بتـــول
ووقـــع اقـــدام على الطـــلـــول
تبحـــث عـــن حقيقـــة
عـــن خنجـــر عن ساعـــد يصول

وكـــان ريـــش انسر فى جراحنا العميقة

فمـــا وصمتنا ظامئا دقـــة الطبـــول

لعصفة من كـــرم الريح تبـــل ريقـــه

وحلبة النزال اى غيمة الخيول

تحـــوم عنـــد كبوة الخيـــول

عودوا باشلائى دمـــى لم يتسر طريقـــه

مـــن مد للفجر يدا يستعجـــل الوصـــول

* * *

مـــن شـــد عند صخـــرة ظنونـــى

ومـــــد منقـــارا الى عيونـــى

يـــا سارق الشعلة ان الصخب فى السكون

فاقطف زهور النور عبر الظلمة الحرون

نحن انتجمنا الصمت فى المغارة

لان نتن الملح لا تغسله العبارة

فانزل معى للبحر تحت الرمل والحجارة

لابـــد ان شعلة تغوص فى القـــرارة

فارجـــع بهـــا شـــرارة

تنفض توق الريـــح مـــن سلاسل السكـــوت

تعلم الانسـان ان يموت .

البيضـاء ـــ احمد المجاطى

عـــودة المثـــقـــفين

بقلـم الاستـــاذ محمد برادة

- ١ -

فى اوروبـــا

تقترن الثورة الفرنسية باسماء الادباء والفلاسفة والموسوعيين الذين كانوا يجسدون مفاهيم الثقافة العقلانية لعصر النور . وغـدا تاثير تلك الجمهرة من المثقفين فى ثورة ١٧٨٩ امرا مسلما به من معظم المؤرخين والباحثين الذين اجمعوا على اعتبار كتاباتهم مهادا فكريا ، هيأ العقول والافئدة ، لعملية « التغير » ، وضمن لاشعاعات الثورة الفرنسية ان تتعدى النطاق الاقليمى ، فتكتسب طابعا انسانيا .

ولكن التطبيق السياسى لمخططات مثقفى القرن الثامن عشر ، لم يكن يتقيد بالمبادىء النظرية ، لان الذين تولوا «التنفيذ» كانوا مـن فصيلة مغايرة لفصيلة المثقفين . وكان ظهور نابليون « تدشينـا » لاستيلاء الساسة على افكار المثقفين . لقد انطلق الامبراطور يحقق « الحلم الكونى » للثورة الفرنسية متوسلا بطلقات المدافع ، ومنطق التوسع ، مجردا الايديولوجية العقلانية من قيمها الانسانية . وامام هذا التسلط ، عاد المثقفون الى كتبهم (أبراجهم) ، وانكبوا على الاوراق يملاونها شعرا رومانسيا حزينا ، يكتشف « الذات » ويرفض

العالم «الخارجى» منفسين بذلك على انهزامهم وخيبة آمالهم . وامتدت غيبة المثقفين الاوروبيين الى سنة ١٨٤٨ ، وهى السنة التى اصدر فيها المثقف الكبير كارل ماركس البيان الشيوعى ، فاستيقظت اوربا من غفوة المثالية والميتافيزيقا الرومانسية ، لتستنشق عبيرا ارضيا : « ان تاريخ جميع المجتمعات التى عرفتها البشرية حتى الان ، هو تاريخ الصراع الطبقى » . انه وعى جديد بعيد النظر فى كل المسلمات التى قام عليها بنيان المجتمعات القديمة ، ويخطط ايديولوجية ستستقطب جل نشاطات انسان القرن العشرين (مع او ضد). ويهمنا فى هذا المجال ان نتحدث عن ماركس بصفته نموذجا للمثقف الجديد، الملتحم بالمجتمع ، المؤثر فى سيره ، والمتاثر بظروفه . فعندما قال : « ليست مهمة الفلسفة تفسير العالم ، بل تغييره ، كان — فى الواقع — يدق ناقوس عودة المثقفين الذين مهدوا للثورة الفرنسية ، واستانفوا مهمتهم فى فتح النوافذ على عوالم رحبة ، وثورات جديدة . وفعلا فقد كانت كتابات ماركس وانجلز وثيقة حية تشهد على ان التاريخ هو من صنع الثقافة الواعية . فلم يمض نصف قرن على « البيان » و « الراسمال » و « بؤس الفلسفة » ، حتى كانت البذرة الثورية قد اختمرت ، واستكمت مقومات العمل ، لتخلق ثورة ١٩١٧ ضد القيصرية والاقطاع ، والراسمالية العالمية . صحيح ان ثورة البروليتاريا لم تتحقق وفقا للشروط التى وضعها ماركس ، ولكننا نتتبع هنا افكاره باعتبارها عطاء مثقف للمجتمع الانسانى ، أوقد فتيلة مشعل الثقافة الملتزمة فى القرن العشرين . وجاءت قضية « دريفوس» لتخرج المثقفين الفرنسيين عن صمتهم ، فتزعم اميل زولا الدفاع عن الجندى المظلوم ، وتطورت الازمة لتصبح صراعا بين اليمين

البرجوازية المحافظ، وبين اليسار الحريص على تطبيق مبادى حقوق الانسان . وكانت مواقف جوريس والحزب الاشتراكى من هذه القضية، بداية الالتحام بين الثقافة الملتزمة ، والسياسة الثورية .

وبقيام الحرب العالمية الاولى تبددت الاحلام التى طالما داعبت خيالات العلماء والطوبويين فى نهاية القرن التاسع عشر ، الذين كانوا يعتقدون ان «التقدم» سيوجد مجتمعا يسع كل الناس ليعيشوا فى انسجام تام . كانت الحرب العالمية الاولى بزعزعتها للقيم والمقاييس ؛ ويكشفها النقاب عما ينتظر الانسانية من صراع وكفاح ، تنبيها واضحا الى عدم تطابق الوقائع مع الافكار . ومن ثم منشا ذلك التخلخل الجذرى فى مفاهيم ومعتقدات مثقفى اوربا ما بعد الحرب . انهم اكتشفوا خواء المذهب « الانسانى » الذى نسجته البورجوازية المتحالفة مع الراسمالية وحركات الاستعمار .. فبداوا تمردهم ضد هذه الطبقة وما تمثله من زيف . وكان انتصاب الثورة الروسية على مقربة منهم ، يشكل تجربة ثرة بالامكانات والاغراء . والنموذج الجديد حتم ان يدفع الى المقارنة .. والمقارنة تؤدى الى اعادة النظر فى المواقف، والوظايف وموازين الفعالية . وهذا ما يتجلى لنا مثلا فى قلق اندريه جيد الذى جذبه بريق الثورة الروسية فسافر يطلب اغذيتها الارضية » ولكنه سرعان ما اكتشف ان الواقع اقل روعة من الفكرة .. وعاد ليغوص من جديد فى حيرته وبحثه عن الافضل . وكانت الشهادة التى كتبها عن الكونغو وثيقة اساسية ــ فيما بعد ــ لفضح السياسة الاستعمارية البلجيكية . ان مواقف كثير من المثقفين الاوربيين (١) وغير الاوربيين (مكسيم جوركى ضد البورجوازية

الاوربية) تشهد على مدى التحول الذى لحق مفهوم الثقافة من النصف الاول من هذا القرن : فاسماء مثل جان سوريل ، وليــون بلــوم ، وفرنسوا مورياك ، وسارتر ، واراكون ، وبول ايلوار ، وبرتراند راسل ، والكواكبى ، والافغانى ، ومحمد عبده ، وسلامة مــوسى ، وماوتسى تونغ ... كافية لان ترسم فى اذهاننا صورة عودة المثقفين الى المجتمع ، وتحطيمهم للعزلة التى كانت تحيلهم الى طوبويين يبحثون عن المطلق ولا يعنى ذلك ان العودة كانت كلية ، وان الوفاق نهائى .. بل ان ردود فعل كثيرة فى مجالات الادب والفلسفة نادت بعودة المثقفين الى زنازنهم مثلمــا نستشــفــه من حركات الداديزم ، والسريالية ، والرمزية . ولكن التحديات المتعاقبة التى تنبع من طبيعة « التجربــة اللامحدودة » للانسان ، ظلت دوما تواجه الايديولوجيات والافكــار ، وتحتم على المثقفين ان يعيدوا النظر فى خطاطاتهم .

ولعل إكبر تحد واجه الثقافة المعاصرة ، هو التوسع الصناعى، واصطباغ الحضارة بالطابع الالى ، والمقتضيات الاقتصادية . ولكون معظم المثقفين الاوربيين ظلوا يعطون الاسبقية للفكر على الواقــع ، ويهملون الحقائق الجديدة التى كان العالم يتكشف عنها من خــلال تطورات الصناعة ، وصراع شعوب المستعمرة ضد الاستغــلال ، فانهم انتهوا الى ازمة حادة عبر عنها جان دوفينيو بقوله (٢) .

ان « الانيلتجنسيا » (الصفوة المثقفة) ظلت معتكفة فى زنزنتها تبتدع الايديولوجيات الجديدة لترد على التحدى التاريخى الذى واجهها به ، النمو الصناعى الحديث. وهذا النمو الصناعى الذى يجهل كـل

ايديولوجية ، ولا يبالى بالعقل الغربى ، قد خلخل عاداتنا ، وحول الافكار والمجتمعات ».

•

ورغم ان تجربة الحرب العالمية الثانية قد عمت مبدأ الالتزام عن المثقفين ، وفجرت ينابيع سخطهم ضد الديكتاتورية وافضت بهم الى رفض القيم الليبيرالية المزيفة .. فان تجمعات اليسار فى مختلف المنظمات الاوربية ، لم تستطع ان تحقق اندماج المثقفين بالجماهير ومشاكلها اليومية . وتدريجيا ، اصبحوا يشكلون طبقة متميزة ، حادة الوعى بمشاكل العصر ، عميقة المفاهيم عند التحليل .. ولكنها على هامش الحياة السياسية ، او كما قال الصحفى جان دانييل : « لقد غدا اليسار الفرنسى مجموعة مثقفين بدون سلطة » . ولا شك ان عدم فعالية المثقفين الاوربيين ناتجة عن اسباب كثيرة ومعقدة ، مثل الافاق التى ارتادتها الراسمالية الجديدة (خصوصا فى المانيا الغربية وفرنسا) ، وتقلص ظل الاستعمار وحروبه ، مما جعل امكانات «التثوير» (٣) تتلاشى بين الجماهير الاوربية ، لتخلفها تطلعات الى الرفاهية ، والعيش الرغيد . le bien-être.

الا ان الموقف الحالى للمثقفين الاوربيين لا يمكن ان يوصف بالانعزال ، لانهم — رغم عدم تاثيرهم المباشر فى تكييف المجتمع — ما يزالون يبحثون عن سبيل لتكثيف فعاليتهم من خلال احزاب اليسار ، وكذلك من خلال شكل جديد هو شكل : النوادى les clubs التى تضم مثقفين مختلفى التكوين والنزعات ، وتقوم بدراسات عملية دقيقة لمشاكل المجتمع . وهذا الشكل الجديد لتجمعات المثقفين قد اصبح قوة متميزة فى فرنسا حيث تستعد النوادى الاربعة الكبرى لعقد مؤتمر

عام فى فيشى يوم ٢٥ ابريل ١٩٦٠ (٤) والظاهرة اللافتة فى هـذه النوادى ، انها برزت الى الوجود عقب ١٣ مايو ١٩٥٨ ، وهو التاريخ الذى حاولت فيه الفاشيستية السيطرة على الحكم ، للامعان فى تطبيق سياسة الابادة بالجزائر .. فهى ، اذن ، تمثل ردة فعل واعية لفضح الاخطار ، واستشراف آفاق جديدة .

— ٢ —

فى العالم الثالث

لم تكن حركات الاستعمار تستهدف نقط البحث عن موارد المواد الاولية واستغلال الطاقات البشرية فى تنمية الصناعة الاوربية .. وانما كانت ــ الى جانب ذلك ــ تنفيذا لتخطيطات الابادة السياسية والاجتماعية والثقافية ، بقصد تجذير نقلات حضارة الغرب ، حتى تضمن استمرارية الاستثمار والاستنزاف ، بعد ان تحيل انسان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الى كائن مسلوب الشخصية والارادة ، مبهور الانفاس امام عظمة « الرجل المتفوق » . ومقابل ما كان الاستعمار يستورده من خيرات وثروات مادية وبشرية ، كان يصدر العالم الثالث ايديولوجياته وافكاره التى وجدت فى سياق تاريخى ، ومجتمعى ، مغاير كل المغايرة لظروف وتطورات الشعوب المستعبدة . وهذا ما يفسر تلك المظاهر الجوفاء للنظام الديموقراطى الذى ساد معظم الاقطار المستعمرة قبل استقلالها وفى كثير منها بعد عملية الاستقلال ، حيث تهيأ البرامج فى سفارات «وطن الام» سابقا ، ويرضى من الاب دوكول ، والعم ايزنهاور ، والجد تشرشل .

اننا لا نستطيع اصدار حكم قاطع عن غيبة او حضور مثقفى العالم الثالث خلال حقبة الاستعمار . لان اكتمال الوعى ، او تبلور كوجيتو ال

« نحن » ــ كما يسميه الاستاذ عبد الله الريماوى فى كتابه « القومية والوحدة » ، لا يتم بمجرد مجابهة الوقائع ، بل لا بد له من رصد ، وتحليل ، واشاعة . وتلك مسؤولية مشتركة بين المثقفين والساسة والمصلحين . فالمفاهيم التى كانت تحدو احمد عرابى او عبد القادر الجزائرى او صن ياتسين ، او زباطا ، فى ثوراتهم ضد الاستعمار والاقطاع ، ليست هى ذات المفاهيم التى يصدر عنها عبد الناصر او بن بلا او كاسترو ، مثلا .

ان مسؤولية المثقف فى العالم الثالث قد لحقها تغير جذرى ناتج عن طبيعة المعركة القاسية التى خاضتها شعوبنا . وقوة التيار « الواقعى » جرفت كثيرا من المفاهيم والمنظورات المغلوطة ، المستوحاة من الليبرالية الغربية . ونستطيع ادراك مدى هذا التحول بعقد مقارنة بين موقفين اساسيين فى تجربة العالم الثالث مع مراعاة النسبية الزمنية . هذان الموقفان متعلقان بقضية حرية الفكر ، او استقلال الثقافة عن السياسة .

فنحن نجد مثقفا مثل توفيق الحكيم (يمثل جيلا متميزا فى ثقافتنا) ينادى بانفصال رجال الفكر عن السياسة ، ليؤدوا مهمة المراقبة النزيهة ، وليجهروا دوما بالدفاع عن القيم الخالدة . وبهذا الموقف ، يرى توفيق الحكيم امكانية تحقيق نظريته التمادلية فى المجتمع . وبالمقابل نجد فرانز فانون يعرف وظيفة الثقافة فى العالم الثالث ــ وكأنى به يرد على الحكيم ــ قائلا :

« ان مثقف الشعوب المحتلة يجب الا يشغل باله بالبحث عن مستوى معركته ، والقطاع الذى يقرر فيه خوض الكفاح القومى ،

ذلك ان الكفاح من اجل ثقافة قومية معناه ، قبل كل شيء ، الكفاح في سبيل تحرير شعب ، لان هذا التحرير هو الضمانة المادية التي تمكن من ايجاد ثقافة قومية. ولا يمكن لمعركة ثقافية ان تشن بمعزل عن المعركة الشعبية (٥) .

ان هذا التعريف الواقعي الجديد للثقافة ، نابع من الظروف اللاانسانية التي يرزح تحتها انسان العالم الثالث . وهي ظروف تجعل الاختيار واضحا ، وقاطعا . اختيار لا يقبل استيراد الشعارات والايديولوجيات ، بل يقر الاستفادة منها شريطة الاستجابة لخصوصية التجربة المعاشة ، للابتعاد عن الطوباوية ، او الفروق التصورية بين « النظرى » و « التطبيقى » . وميلاد الثقافة النضالية يلتحم كلية بميلاد الفكر الثورى الذى يعتبر السياسة تطبيقا لمفاهيم ثقافية مستمدة من الواقع الحياتي . وستظل قولة سيكوتورى التاريخية : « اننا نفضل الفقر مع الحرية ، على الغنى فى ظل العبودية » ، رمزا عميق الدلالة لتحول مفهومى الثقافة والسياسة فى العالم الثالث ، لانه تحد واع للاستعمار الذى حاول التسلل فى شكل جديد .

وفى القطاع العربى لم تكن عودة المثقفين اقل فعالية منها فى بقية المجتمعات المتخلفة .. يظهر ذلك من افكار بعض الرواد الذين وعوا الازمة فى ابعادها الحقيقية فدعوا الى علاجات معقولة .. واذا كانت كتابات سلامة موسى انعكاسا لتأثراته بمناقشات الفابيين ، فان الافكار التى صاغها ميشيل عفلق منظومة تؤطر حزب البعث ، كانت اكثر قربا من الواقع ، وفهما لجذور الازمة . ومن ثم طرحت الازمة العربية داخل نطاق ازمة العالم الثالث ، وغدت الصراعات تستقطبها

مفاهيم جوهرية مرتبطة بسياق التاريخ الحديث : القومية او اللاقومية، الاشتراكية او اللا اشتراكية الديموقراطية او اللا ديموقراطيـــــة . والتعثرات التى بدت فى الصف العربى ، ناتجة عن تباين مستويات الوعى بهذه العناصر الاساسية للمعركة . وان تتبع الدراســـات العديدة التى اصدرها مثقفون عرب ، عن مشاكل مجتمعنا ، توضـــح الافاق التى ارتادها المثقف العربى الذى اعتنق مفهوم الثقافة النضالية وحرص على مواكبة التطورات ليصوغها ويوجهها . ومن ذلـــــك ، الدراسات التى كتبها الدكتور عبد الله عبد الدائم خصوصا بعــــد فشل تجربة الوحدة بين سوريا وبين الجمهورية العربية المتـــحدة ، ومعالجته للعلاقةبين الديموقراطية والاشتراكية وما كتبه مطاع صفدىعن الثورة ومفاهيمها ، وناجى علوش وعبد الله الريماوى ، وغيرهـــم كثيرون فى مختلف انحاء الوطن العربى .

وكل ذلك يرسم صورة مشرقة للمثقف العربى الذى رفـــض الاستمرار فى الاضطلاع بدور تزيينى ، تزخرفه دنانير الملوك والولاة ، وتنفخ فيه حاشية البلاطات المتملقة .

— ٣ —

آفاق متداخلة

من خلال هذه المقارنة الاجمالية لمواقف المثقفين فى اوربا والعالم الثالث يتجلى الخط المشترك الذى يقرب بينهمـــا ، ويشـــدهمـــا الى صراعات المجتمع . ولكن هناك فارقا اساسيا يكمن وراء هذا التشابه. ففى الدول الغربية حرص المثقفون على تميزهم عن بقية القـــــوى المتصارعة ، ليحتفظوا بنفوذهم المعنوى فى حين ان مثقفى الـــدول

المتخلفة وجدوا انفسهم امام وضعية خاصة تقتضى البحث عن نظام «كلى» متكامل فى حيز زمنى محدود . فباتت الثقافة ممتزجة بالسياسة ، والسياسة ملتحمة بالثقافة (نحن نقصد هنا الاتجاهات الثورية السليمة فى العالم الثالث) .

يقسم كارل مانهايم (فى كتابه الانسان والمجتمع ص ٨١) الفئات الفعالة فى المجتمع كما يلى :

« ... النمط السياسى، والمنظم، والمفكر، والفنان ، والاخلاقى، والدينى . وفى حين ترمى الصفوتان السياسية والمنظمة الى تكامل عدد كبير من الارادات الفردية ، نرى ان وظيفة الصفوات المفكرة والفنانة والاخلاقية والدينية ، هى ان تتسامى بتلك الطاقات الروحية التى لا يستنفدها المجتمع فى الصراع اليومى من اجل البقاء » .

ان هذا التقسيم المجزىء لصفوات المجتمع لا يمكن ان يكون مجديا فى العالم الثالث .. لان طبيعة المعركة ، تستوجب صراعا يوميا على كل العناصر ، وتمزج بين « الروحى » و « المادى » ، لتعزف الحانا قوية وحركة .

ومع ذلك فان هناك آفاقا متداخلة بين مثقفى العالم «المتحضر» والعالم المتخلف ، تتطلب وعيا مشتركا ، وكفاحا طويلا . ذلك ان التحدى الجديد الذى يواجه الشعوب فى شكل غول « التكنيك » ، يطرح من جديد كل القيم المتكسبة والمتخيلة للمناقشة . فالصراع الحاد الذى بدانا نشهده بين الايديولوجيات وبين الاختصاصيين Les tecknocrates ينبئنا ان البشرية على ابواب تحول بعيد المدى، مجهول النهاية . وتلخص قولة «لويس اماند» هذا التحدى « ان التكنيك»

يجهل التاريخ» (٢) . وقد شرح فى كتابه، التطورات العملاقة التى يعيشها العالم بعد ازدهار التقنيات ، انتشار التجارب العلمية .. ويستخلص من رصد هذه التغيرات المادية ، ضرورة تغيير الافكار والايديولوجيات التى وضعت فى القرن التاسع عشر ، واستمرت محتفظة بسلطانها فى عالم لم يعد يمت بصلة لتلك المرحلة الزمنية . والسؤال المطروح هو : هل تعتبر هذه الموجات التقنية المذهلة نذيرا بالعبودية ، ومحق القيم الانسانية ؟ ام انها امكانية ضخمة يمكن ان تخلق حضارة جديدة تتوفر فيها الديموقراطية والمساواة ؟؟

ان هذه الافاق التى يرتادها العالم فى تطوره المستمر ، تجعل مسؤولية الاختيار والتوجيه مشتركة بين جميع المثقفين .. وتعطى الاسبقية للثقافة الحركية التى تعى قدرتها على تغيير البنايات والهياكل لتمحو الفوارق المفجمة بين الاغنياء المتخمين ، والفقراء المدقعين .

وعلى هذا الاساس يمكن ان نناقش مهمة المثقفين فى المغرب . فليس من الضرورى ربط تطور الثقافة بالتعليم ، وجغرافية الاقطار التى درس فيها طلابنا ، كما فعل الاخ السطاتى فى مقاله « وضعية المثقفين فى المغرب » (٧).. فالى جانب المفاهيم السلبية المجوفة ، ظل هناك استمرار تطورى لمفهوم الثقافة الواعية قبل الاستقلال وبعده، تشكل فى حركات سياسية ومواقف فكرية ، وعمل على تكوين تيار تحررى ثورى ، يلتحم بالجماهير ، ويبلور اهدافها . والذين انعزلوا او آثروا التفلسف المفصول عن العمل ، تحولوا الى متفرجين ، ولم تعد لهم رابطة تشدهم الى مجال الثقافة الصاعدة ، رغم جذورهم التعليمية ، وشهاداتهم العالية !

ان المقياس المشترك للمثقفين فى المغرب ، ينبع من المواقف التى تترجم التفكير الى عمل ، وتنضم الى الركب من اجل التغيير

الذى تنشده الجماهير . ولذلك فان المناقشة التى يمكن — فى نظرى — ان تساعد على اغناء تجربتنا ، هى المناقشة التى تتجنب البحث فى اصول ازمة متجاوزة ، لتنصب على دراسة الابعاد العميقة التى تحدد مسؤولية الثقافة فى اطارها القومى ، وفى آفاقها الانسانية .

---

١) اورد لويس بودان فى كتابه القيم Les intellectuels (سلسلة Que sais-je ? احصائيات عن الطبقات التى ينتمى اليها المع الساسة الفرنسيين . وفى هذه الاحصائيات نجد ان ٥٣ ٪ من الاعضاء المنتخبين فى الجمعية الوطنية يصنفون ضمن المثقفين (اساتذة وصحفيون وأطباء ، وصيادلة ، ورجال القانون ...)

٢) Pour entrer au XXe siècle, p. 82.

٣) اى نشر الفكر الثورى — استعرت اللفظة من ترجمة الاستاذ منير البعلبكى لكتاب رواد الفكر الاشتراكى — ص ٣٦٤

٤) اسماء هذه النوادى هى Le Club Jean Moulin, le Cercle Tocqueville, Citoyen 60, Démocratie Nouvelle.

وقد نشرت مجلة فرانس اوبسيرفتور مقالا عنها بعنوان : « النوادى تدخل ميدان السياسة » (٩ ابريل ١٩٦٤) اوردت فيه نظرات عن الدراسات التى نشرتها هذه النوادى ، وعن اتجاهاتها والدور الذى يمكن ان تلعبه فى الميدان السياسى .

٥) Les damnés de la terre, p. 174, éd. François Maspero.

٦) Plaidoyer pour l'avenir, Louis Armand et Michel Drancourt. Ed Clamaun-Lévy.

٧) اقلام، العدد الاول ، مارس ١٩٦٤ .

أســـرار الليـــل

بقلم : ام عصام

« سامر » تعرفه كل الاقبية الليلية .. الضاحكة منها والحزينة .. تعرفه الطرقات الضيقة والشوارع العريضة .. الليـــل عالمـــه المسحور الخاص .. فيه يحيا وفيه يعيش كانسان كامل الاحاسيس والمشاعر والطاقات ..

يسير برفقة صديق .. يتسكعان على رصيف شارع غفت حركته .. تقف سيارة سوداء بجانبهما ، وتخرج منها فتاة فى العقد الثالث من العمر .. الساعة تقارب الثالثة صباحا .. الهدوء يشمل كل شىء الا صدى خطواتها المغناج ، التى اخذت تملأ الشارع بموسيقى حلـــوة . الخصر النحيل يتلوى.. الراس يلتفت الى الشابين .. تغرق عينيها فيهما منتظرة اشارة فاصلة لتهرع اليهما ..

سامر عازف عن مصاحبة اية فتاة ، بعكس صاحبه الذى غـــرس نهم عينيه فى ظل الفتاة يلحق بها ..

يهمـــس سامـــر :

ــ اسمع .. انا لا اريد شيئا .. وانت ؟..

ــ اريد يا صاحبى .. اريد ..

ــ وزوجتك ؟.. اين هى ؟..

يتضاحك الصديق بعبث .. ثم يقول :

ـــ انها فى البيت تضم طفلنا وتنام .. اسمع ! انا اسهر الليل لاتمم ما لم انجزه فى النهار ، الا تريد ان تصدق ؟.. ان زوجتى تصدق .

ـــ واين حبكما ولما يمضى عليه سوى سنتين ؟..

ـــ سنتان ؟.. انت ساذج يا سامر .. الحب ليس له خلود .. هنالك زواج .. هنالك شركة لقيام بيت وانجاب اطفال .. هنالك رغبة تدفعك الى انتقاء شريكة صالحة .. اما الحـــب فهـــو اوهام تجذبنا الى بعضنا ، وينتهى الامر كالعادة بالفتور او الرتابة التـــى تجعلنى اتسكع معك الان افتش عن تسلية وانا اتستر بالعمل ..

يجيـــب سامـــر :

ـــ اسمع ياصديقى .. انت مخطىء فى هذا .. الحب هـــو الحياة بالنسبة لوجودنا .. هو غذاء قلبى وقلبك .. هو منبع سعادتى وسعادتك .. هو بريق الامل الدافىء الذى يتراقص فى اعماقنا ليدفعنا الى العيش بمحبة وتفاؤل غـــداً .

ـــ كفى .. كفى يا سامر . انت غض لم تعلمك الحياة بعـــد ما هى الحياة ؟ بل ما هو الواقع ؟..

تتلفت الفتاة وتزيد من غنجها وسحر تمايلها ..

ينفذ صبر الصديق .. يقول :

ـــ سامر ارجوك ساعدنى .. اليها .. اريدها ..

ـــ كما تريد .. تعال .. ولكن كما قلت لك، انا لا اريد شيئا..

وتسرع الخطوات وراء الفتاة ..

فى غرفة سامر هدوء عجيب .. عالمه الصغير ينتظر ككـــل ليلة عودته بعد الثالثة صباحا .. اما الليلة فقد كانوا ثلاثة ..

سامر فى صمت مطبق .. الصديق ينتظر اشارة من سامر .. الفتاة تركز نظراتها على وجه سامر تحاول ان تستكشف سر عزوفه عــنــهــا ..

تقوم اليه تدغدغ وجهه بشفتيها .. تتحسس بيديها جسده .. كتفيه .. اذنيه .. شعره الغافى على الراس الصامت .. ترتد خائبة .. تهـمـس :

— ما بك يا عزيزى ؟ .. قل .. تكلم .. انا هنا لاطفىء مـــا بقلبك .. لاشترى الابتسامة الى وجهك .. لاميت حزنك وضجرك ..

لا يجيب .. يتململ منها ومن كلامها .. ينظر الى صديقـــه بعتـــاب ..

يقوم الصديق الى الفتاة يسحبها اليه .. يضمها الى صدره الظامىء .. يتسلل سامر من الغرفة .. تلتفت الفتاة عـــلى صـــوت اغلاق الباب .. تتجمد لفترة ثم ترفع كتفيها بلامبالاة عفوية .. وترتمى على السرير بجانب الاخر ..

يتسلل سامر الى سطح منزله .. ويهوى بجسده على مقعد ينتظره احيانا .. السماء واسعة صامتة .. النجوم تتلألا بلا رفيـــق .. كل واحدة انتثرت لتضىء للاخرى الجوار .. القمر ينتحب بحـــزن ولوعة .. هنالك همسات تصل الى اذن سامر .. همسات محببة.. انه صوتها. صوت حبيبته «رنا» .. تراها تضم زوجها الان وتنام ؟ .. ام تعانق حافة الفراش وحيدة يا لها من قاسية ! لم رفضت ان تجتمع به ، مع انه واثق انها لا تزال تحبه ..؟ رعشات صوتها اخبرته .. دموع عينيها المتلألئة فى المآقى فضحتها .. عرف ذلك عندما صادفها فى الزقاق الضيق وسالها :

ــ كيف حالك يا «رنا» ؟.. لقد قرروا مصيرك وانت وافقت ؟ .. اليس كذلك ؟..

ــ خوفى عليك جعلنى اقبل قرارهم .. لقد هددونى بقتلك اذا لم اوافق !..

وصمت الاثنان يقاومان الحزن والالم .. ويد «رنا» بين يدى «ســـامر» ..

من نبضات الاوردة .. من البرودة الندية والاستسلام المطلق عرف ان حبه لن يموت فى قلب هذه الانسانة .. وهو ! سيظـــــل يحبها وفيا لعهدها ما استطاع الى ذلك سبيلا .. ويختفى القمر وراء غيمة شاردة .. فيتململ سامر .. كأن وجه حبيبته قد فقد من رؤياه .. ويتوسل اليه ان يعود .. وتسرع الغيمة فى سفرها ، تاركة لسامر خيوطا بنفسجية يغزلها .. يضفرها من اوهامه سلالم الى وجه الحبيبة .. يحضنه .. يقبله .. يشم عطر الحب والحياة منه .. يعيده الى الواقع صوت صديقه يناديه مودعا ..

صوت الباب يغلق .. يعود سامر الى غرفته .. جوها الخانق يزيد ضيق صدره .. يفتح النوافذ والباب لعل رطوبة الليل تمحى مـــا عبق فى الغرفة .. يلتفت الى سريره .. ينفر منه .. ينفر من الغرفة .. من البيت كله .. حتى مقعده على السطح ..

يهرع الى ثيابه يرتديها .. يغادر البيت .. يتسكع فى الطرقات .. يجد نفسه امام بيتها .. بيت رنا ، الغارق فى الصمت والسكينة .. تبلل الدموع خديه .. يلهث وراء حبه .. يضم فى اعماقه شذا عاطفة .. اضمومة حنين وشوق .. يتلمس الجدار .. جدار بيتها .. يؤلمه

تعانق مصراعي الباب الصامد .. يتحسس صدره .. هنالك جـراح مدفونة فيه بأسى وحزن ..

يحبها .. يحبها .. وجهها معه اينما سكن واينمـــا سار .. وجهها .. وجهها البريء الحبيب ..يعود «سامر» الى بيته .. ينتقى كتابا ليدفن فى سطوره قلقه .. وجهها بين الكلمات عيناها بين الاحرف .. يتنهد .. يطرد خيالاته .. لا يستطيع .. يبحث عن اى شيء ينسيه ما تيقظ بعنف فى اعماقه ..

يغرس عينيه فى السقف .. يراها .. تبتسم .. تضحك .. تناديه .. يتلمس حمى جبينه .. يطرد وجهها .. يعود بعينيه الـــــى الكتاب .. يعود .. يعود .. يقرا .. يقرا ..

يده فى الفراش تتحسس شيئا .. انها .. انها قطعة مـن الزجاج المكسور .. انها بقايا عدسة نظارة مرمية .. يبتسم بسخرية ..ويتذكر صاحبه ونظارته .. يهمس :

ــ كيف عاد الى بيته بدونها .. ولكن لا باس .. سيشترى غدا نظارة جديدة تساعده على رؤية الطريق الصحيح بوضوح ..

دمشق هاجعة مع الليل .. وسامر يقظ مع لوعة قلبه ... وهناك .. هناك انسان ذو نظارة مكسورة ، يتسلل الى منزله .. الى سريره ؛ لينام بجانب زوجة تعانق طفلها وتغفو باستسلام وطمانينة ..

دمشــق ــ أم عــصـــام

الخطأ الجميل

مهداة الى مجلة ((اقلام)) الفنية

شعر : احمد الصافي النجفي

ومليحة كسرت جميل الشعر بالخطأ الجميل
فاذا الخليل بوزنه يحتج للخطب الجليل
ويصيح : هذا يستحيل ولن نقر بمستحيل
أيجوز كسر الوزن بعد الجهد فى العمر الطويل ؟

انى ضبطت أصوله كيف الخروج على الاصول ؟
واذا المليحة تكتسى لحياتها ثوب الاصيل
فبقيت حيران الهوى بين الخليلة والخليل
وقف الخليل بجانب للفضل يجمع والفضول ؟

وبجانب تبدو المليحة فى الجمال بلا مثيل
يحتج هذا بالدليل وتلك بالطرف الكحيل

ماذا يفيد دليله وضياء وجنتها دليلى
فدع المتيم قائما بالحسن عن قال وقيل
ودع الخليل يضج فى مستفعلات او فعيل

دور المثقفين في البلاد المتخلفة

للاستاذ محمد صالح الزعيمى

لا شك ان العدد الاول من مجلتنا الفتية « أقلام » قد استوقف انظار الراى العام المثقف فى بلادنا ، فالمجلة ، بشكلها الجميل ، وبما تضمنته من شتى انواع الانتاج الفكرى ، قد كانت موضوع حديث فى عدد من المجالس ، ولا نبالغ اذا قلنا انها فاجأت الكثيرين .

ولكن الفئة المثقفة الواعية فى بلادنا ، ممن انتهت الى ايديهم اعداد المجلة لا بد وان تكون قد وقفت على الخصوص وقفة طويلة عند احدى مقالات العدد الاول ، ولا بد ان تكون تلك المقالة قد اثارت فى نفوسنا تساؤلات ، وطرحت على افكارها مشاكل .

وهى وان كانت لم تغب عن ادراكها تلك التساؤلات والمشاكل ، فانها ــ ولا بد ــ قد استجمعت قواها الذهنية بمناسبة طرح تلك المشاكل على بساط البحث ، لانها ان لم تفعل ، تكن غير جديرة بالثقافة وبالوعى ، اللذين يفترض انها تتمتع بهما .

ان مقالة الاخ احمد السطاتى ــ وهى المعنية هنا ــ تشريح مكتمل لمختلف الاوضاع والمواقف التى توجد عليها الفئة المثقفة بالمغرب . وهى تثير مسائل هامة ، وتدعو الى التامل فى مظاهر

رئيسية خطيرة ، تاملا ينتج عنه بنوع من الضرورة الغريزية قلـــق شديد على المصير .. ومن هنا تستمد المقالة قيمتها الاولى .

فمن منا لا يشعر بالقلق عندما ينبهه هذا المقال الى الواقـــع الرهيب الذي يقوم على اننا نعانى الاحداث والتطورات التى اجتازتها بلادنا منذ الاستقلال ، بدلا من ان نخلقها او نؤثر فيها ، واننا لا ندرى ما تخبئه لنا الاقدار فى المستقبل !؟

ومن منا لا يتحرك ليقول ما يراه بشان قضايا وطنية رئيسيــة كتلك التى يتعرض لها الكاتب فى مقالته ؟

ذلك فى الحقيقة ما دفعنى الى الكتابة فى هذا الموضوع .. وذلك ما اصاب بى كما لا بد سيصيب بغير ما واحد ، الى تفحص المواضيـع التى تطرق اليها الاخ احمد . وهى فى الحقيقة استجابة لدعوته الملحة التى ينهى بها مقالته ، دعوة الى تدارس الموضوعات الحيوية التـــى تهم بلادنا ، والى تلمس الوسائل والسبل التى تؤدى الى قيامنـــا ببعض ما يجب من المساهمة فى التطوير والتوعية .

ان اولى الملاحظات التى لفتت نظرى بعد قراءة المقالة ، هى انها اقرب الى ان تكون دعوة الى الحوار وتبادل الاراء ، منها الى ان تكون دعوة الى قيام المثقفين بدورهم الطليعى الكامل .

ذلك ان النهاية التى ينتهى بها المقال ، والتى هى اقتراح بتدارس عدة مواضيع حيوية هامة ، ليست فى نظرى مما يمكن اعتباره حـــلا نهائيا للمشاكل التى اثارها الكاتب فى بداية مقالته

ان الكاتب يقدم كما قلنا تشريحا مكتملا لمختلف الاوضـــاع ـ المؤسفة حقا ـ التى يوجد عليها مثقفونا . وهو يملا نفوسنا حســـرة

عندما ينبهنا الى توالي الاحداث والتطورات على بلادنا منذ الاستقلال بشكل فوضوي غير منسجم ، لا يدلنا فيه ، وبدون ان يكون لنا تاثير على مجـــراه .

ولهذا اظن بان كاتب المقالة نفسه يوافقني على ان قيام هـــــذا الحوار حول المواضيع التى اقترح علينا بعضها ، ليس من شأنه ان يغير هذا الواقع المؤلم .

وابادر الى القول بان هذا لا يعنى التخلى من كل نشاط ، بـــل العكس هو الصحيح وانما القصد هو ان طبيعة هذا الحوار الذى نريد له ان ينشط على صفحات هذه المجلة الفتية ، ليست من طبيعة الاحداث والتطورات التى تشهدها بلاد متخلفة مثل بلادنا .

ان القصد هو ان لا نسعى فى تقوية جانب تلك الفئة من المثقفين الانطوائيين الذين وصفهم كاتب المقال ، وقال عنهم انهم اقتنعوا بعدم جدوى التصدى والمقاومة فانطووا على انفسهم ، وندبوا حظهـــــم التعس ، ثم طفقوا يجتمع بعضهم الى بعض على غير انتظام ، وظنوا انهم ينفضون عنهم كل مسؤولية اذا هم فتحوا فيما بينهم نقاشــــــا يستعرض كل منهم خلاله مقدراته الكلامية ، ومعلوماته «الايديولوجية» ثم يفترقون على موعد او على غير موعد ، هذا بينما الاحداث تتوالى ، والبلاد تشهد تطورات وتجتاز ازمات، وهم فى كل ذلك بمثابة الصفر على اليسار ، يعانون ما يجرى ولا يؤثرون فيه .

نريد اذن ان نفتح هذا الحوار ، ونرحب به ، ولكن لا لنستعرض معلوماتنا ومقدرتنا على اللجاج والمحاجة ، وانما لنطور وعينا بـــمـــا

يجرى حولنا ، وليتحدث المختصون من مثقفينا عن عدد من التفاصيل التى ينقصنا الاطلاع عليها .

اقول هنا (التفاصيل) لاننى اود ان اناقش الاخ الكاتب فى مقاله عن مهمة التوعية .

ذلك انه يبدو لى ان المشكل الرئيسى الذى يجب على بلادنا فى الوقت الراهن ان تواجهه وان تمنحه كل عنايةليس بالضرورة مشكل التوعية .

ولكى لا نختلف فى غموض ، اوضح بان التوعية التى اقصد اليها هنا هى تلك العملية التى تقوم على اتصال الفئة المثقفة الواعية بجماهير الشعب ، بمختلف وسائل الاتصال ، وفى مختلف مناسبات ذلك الاتصال ، بقصد ان تجعلها مدركة لواقعها ، وبهدف ان تنبهها الى امكانيات الخلاص ، والى الوسائل الناجعة اللازم استعمالها لذلك .

فالتوعية — بهذا المعنى — مهمة جليلة ، ويبدو — فى الظاهر — انها المهمة الاولى التى يجب ان يضعها المثقفون الواعون نصب اعينهم .

ولكننى لا زلت مصرا على القول — مع ذلك — بان التوعية ليست — فى الوقت الراهن — مهمتنا الاساسية .

ان مهمتنا الاساسية كمثقفين تقوم فى الحقيقة على البحث عن الحلول الناجعة وعلى ايجاد الطرق الكفيلة بالاستجابة الى تحقيق المطالب والحاجيات التى توجد بلادنا وشعبنا فى امس الحاجة الى تحقيقها .

مهمتنا هى تدارس الوضع فى بلادنا على حقيقته ، والتوصل الى الحلول المناسبة لذلك الوضع . وهى مهمة مستعجلة لا تتحمل تماطلا ولا تأجيلا .

ذلك ان بلادنا بلاد متخلفة ، وخصائص البلاد المتخلفة اصبحت حديث الكثير من المفكرين ، وقد بدات تمتد لتدارسها المؤتمرات الدولية وبذلك اصبحت تتضح بسرعة حتى صار بوسع طبقات يزداد اتساعها يوما بعد يوم ان تتلمسها فى غير عناء .

فاذا كان من مهمة التوعية ان تضع اصابع رجل الشارع ورجل الحقل على مشاكله الحقيقية ، فان هذين قد اصبحا اليوم — لا يدركان فحسب مشاكلهما — بل انهما يلحان فى طلب ايجاد حلها الحقيقى، ولن نبالغ كثيرا اذا قلنا انهما يعرفان حتى هذا الحل الحقيقى .

ولهذا قلت ان على المختصين من مثقفينا ان يتحدثوا فى اطار مجلتنا الفتية عن عدد من التفاصيل التى تنقصنا معرفتها .

وهكذا فان هذه المجلة التى تحتضن فى جنباتها القصة والقصيدة والتمثيلية والبحث الادبى، تستطيع بل ومن واجبها الاول ان ترحب بالابحاث التقنية التفصيلية التى تعالج مشاكل كالتعليم ، والزراعة ، والتصنيع ، والرعاية الطبية، والتنظيم الادارى وغير ذلك من المواضيع .

على ان هناك موضوعا هاما آخر يثيره كاتب المقال عندما يتحدث من السلطة كوسيلة لنهوض الفئة الواعية بمهمتها . فهو يرى ان تاجيل كل شىء الى ما بعد استلام السلطة مضيعة للوقت فى غير طائل ، كما يرى ان الشعبية الحقيقية لا تكتسب عن طريق السلطة . .

وابادر الى القول اولا ان من الضلال ان يؤجل فريق من المثقفين كل محاولة ، وكل نشاط ، الى ان يستلموا السلطة ، ثم عندئذ يبدأ

نشاطهم وتفكيرهم فى الحلول . فهذا موقف فى نظرى غير سليم . ولعلى اوافق الكاتب اذا ما كان يفكر فى ان مثل هذا الموقف سينجم عنه فى الاخير طلب السلطة للسلطة ، مما تنتج عنه مآسى عدد من الشعوب المتخلفة التى تعانى من جراء مثل هذا الموقف .

الا اننى الاحظ من جهة ، ان الامر لا يتعلق هنا بالشعبية التى يبدو ان كاتب المقال يطلق عليها اهمية معينة ، بقدر ما يتعلق بتحقيق المطالب وسد الحاجيات .

ومن جهة اخرى اود ان انبه الى انه من المتفق عليه اليوم وخاصة فيما يتعلق بالدول المتخلفة ان التجربة اليومية هى التى تبرهن على صحة وسلامة اى برنامج يوضع او اية طريق تسلك لتحقيق اهداف احدى تلك الدول المتخلفة .

ومن هنا نجد ان جميع الحلول المفكر فيها او المتوصل اليها كنتيجة لحوار او مناقشة لن تجد قيمتها الحقيقية والنهائية الا عندما تصبح برنامجا تقوم السلطة بتنفيذه وعندها سيتجلى ما يجب ادخاله على ذلك البرنامج من تعديلات وتصويبات استجابة لضرورة التطبيق .

واذا كانت هذه الحقائق منطقية فى حد ذاتها ، فهى بالنسبة للدول المتخلفة كبلادنا بمثابة الضرورة الملحة ، او الشرط اللازم .

ان امامنا مثالا واضحا هو مثال الجمهورية العربية المتحدة ، فلقد اجتازت مصر عدة تجارب فى تحقيق اهدافها الثورية ، وكانت برامجها تحتك بالواقع الذى تطبق عليه ، فيدعوها ذلك الواقع الى التغيير والمراجعة ، والتصويب .. وبالجملة ، فقد كان كل شىء — فيما عدا الاهداف العليا — خاضع للتغييرات التى تفرضها طبيعة الممارسة اليومية .

واذا كان من خصائص الشعوب المتخلفة فقرها المدقع فى الاطارات وتزايدها الديموغرافى السريع ، وضآلة انتاجها وعدم تناسب مع ذلك التزايد ، ونشوء البطالة نتيجة لذلك وتفاحشها بشكل متسارع ينذر بالخطر ، فان الوقت ضيق امام الفئة المثقفة الواعية لكى تزعم ان دورها الرئيسى هو دور التوعية التى (يستطيع الشعب بعدها ان يسلم السلطة لمن يراهم اهلا لها !)

ان الوقت لا يسمح ابدا لا بالتأملات ، ولا بانتظار توعية بطيئة لشعب تزداد افواهه الجائعة ، وادمغته الفارغة ، والامراض فى ابدانه يوما بعد يوم .

وان مما يميز الشعوب المتخلفة انها من جهة ، فقيرة ، فى الاطارات المفكرة التى تستطيع ان تقوم بالتخطيط ، ورسم الطريق لتحقيق الاهداف ،ومن جهة اخرى ، فان جماهيرها تتمتع — نتيجة لوضعيتها البئيسة — بشعور حاد بمشاكلها اليومية ، وتدرك ، بفضل التطورات الحديثة التى شهدتها ، وبنوع من الغريزة ، حاجياتها ومطالبها .

واذا كان من السهل ان تقع هذه الجماهير فريسة للديماغوجية والتهريج باسم التوعية ، فان هناك مشكلة حقيقية تعانى منها جميع الشعوب المتخلفة ، واعنى بها مشكلة اعطاء الاولوية للتقدم الاقتصادى والاجتماعى ، او اعطائها للتمتع بالحريات الديموقراطية التقليدية .

وهو موضوع يجب ان يطول فيه الحديث ، وحبذا لو كان موضوع حوار منتج يتناوله عدد من مثقفينا على صفحات «اقلام» .

ان كثيرا من حكام الشعوب المتخلفة يحاولون الاختفاء بديكتاتوريتهم وراء الحجة القائلة بأن المهم بالنسبة لشعوبهم هو التنمية ، واما الديموقراطية فتاتي فيما بعد . كما ان عددا آخر من هؤلاء الحكام يتسترون بليبيراليتهم المزيفة وتمشدقهم بالديموقراطية ، وهم فى الحقيقة يحاولون ان يتستروا على عجزهم الفاضح عن مواجهة المشاكل المستعجلة والقضايا الجذرية التى يتطلب حلها وضع تصميمات ومخططات من شانها لو طبقت ان تنسفهم من الاساس .

تلك مواضيع ينبغى ان تبحث على صفحات هذه المجلة ، ويرجع الفضل فى اثارتها الى مقالة الاخ السطاتى التى فسحت المجال للحديث من موضوع المهمة التى تنتظر مثقفينا الواعين .

والحقيقة ان من اولى الواجبات التى ينبغى للباحث فى هذا المجال ان يقوم بها هى التعرف على جميع العوامل المشجعة ، والعوامل المثبطة ، لمساهمة المثقفين فى تحديد معالم الطريق ، كما ان من الضرورى مواجهة افكار مثقفينا بعضهم بالبعض ، مواجهة انشائية يكون الهدف الاوحد لها هو الاسهام فى انارة طريق الخلاص .

الرباط — محمد صالح الزعيمي

حوار اذاعى عن سارتر

بقلم الاستاذ ابراهيم السولامى

الـــــراوى :

مع اطلالة كل قرن تشرئب الانسانية نحو آمال جديدة وحيـــاة افضل . والقرن العشرون لم يشذ عن هذه القاعدة . ان هذا القرن الصاخب بحربين عالميتين والاستعمار لم يستطع ان يخفى بيســن سحب البارود ومجارى الدماء قلوبا طافحة بمحبة الانسانية والدفـــاع عنها فى شجاعة واصرار . ان جان بول سارتر الذى نقلب صفحـــات حياته الان احد عباقرة عصرنا وابطاله ، فلندعه يحدثنا عن نفســه وبلاده فى هذه الحقبة الحادة من تاريخ العالم :

ســـــارتـــــر :

ليس من السـهل على الانسان ان يزعم انه غير مدين لعصره بما بلغه من ادراك ووعى او ما انتهى اليه من اسفاف وتأخر، فالانسـان فى اعتقادى ليس مسؤولا عن واقعه الذى فتح عليه عينيه لانه امـــر انجز فى غيبته ولكن مسؤوليته تبدأ لحظة وعيه بهذا الوجود .

ولدت فى ١٩٠٥ بباريس وكنت منذ صغرى كثير الملاحظة ، احاول ابدا فهـم ما يطرأ على عقلى الصغير : كنت المس عن قرب مظاهـــر الرخاء التى بدت على بلادى فرنسـا لان مستعمراتنا فى افريقيا كثرت ،

والثورة الصناعية الفتية انتعشت بالاسواق الجديدة والمواد الخام ، مات ابى وانا فى الثانية من عمرى ، وادخلت مدرسة هنرى الرابع ، الا ان اهم التغييرات فى حياتى حدثت بعد الحرب العالميـــة الاولى ، فبعد ان تخرجت من المدرسة العليا للاساتذة والتحقت بالخدمـــة العسكرية كنت استاذا للفلسفة مدة قصيرة ثم انقطعت نهائيا للتأليف والقراءة بعد الحرب الثانية .

اذكر ان مداخن المصانع حين كانت ترتفع فوق بنايات باريـــس لم اكن ارى فيها بداية رفاهية ورخاء بل كنت اراها سحبا تمتـــص حرية العامل الضعيف ولكم تساءلت : ان العمال فى حاجة ماسة الـــى من يدافع عن حريتهم وحقهم فى التعبير والراى ضد ارباب المعامـــل وضد الالة ، وحين كنت افضى بافكارى للاصدقاء كانوا يجيبون هزلين : (هون عليك يا دون كيشوط المحترم) ثم يغرقون فى الضحك ..

الـــــراوى :

لكن النقاد الجادين بداوا يهتمون بسارتر مشفقين او جادين قبيل ١٩٢٩ وفى هذه المدة بدأ الشباب القلق على مصيره يفقد الثقة فى المثل العليا التى لم تمنع الامم من حرب مهولة وازمة اقتصادية مفنية فلجـــأ بعض الشباب الى الانتحار وبعض الى الادمان والنقمة او اللامبالاة فى هذه الحقبة كانت مجموعة من الشباب المتنورين يبحثون عن حلول للدوافع التى قادت الشعوب الى القتال ، فوجدوا ضالتهم فى انـــدرى جيد اولا ، لكن سرعان ما استهواهم ظهور سارتر فتحلقوا حولـــه يســـالــون :

سائل اول :

هل تعدون المذهب الوجودى الذى تنادون به مع غبريال مارسيل فلسفة جديدة لم تعرف من قبل ؟

سارتر :

ان الاستاذ غبريال يعد وجوديا مؤمنا اما وجوديتى فعلى العكس والمذهب الوجودى بعامة يمكن ان نقول عنه بان التفكير فيه هو التفكير الصريح فى الانسان ، وهذا النوع من التفكير بدا منذ «برطاغوراس» وسقراط ، ولكنه تقوى منذ القرن الثامن عشر . فبعد موت نابليون نادى « كيركجورد » بالرجوع الى الفرد ، وجاء فرانزكافكا فقال بأن الانسان يحيا فى وهم مستمر وانه لا حقيقة على الارض واكد « ريكلة » و « هيدجر » ما قاله من سبقوهما .

اما أنا فارى ان الانسان فقد كل شيء ولكنه ربح شيئا اعظم هو حريته .

سائل ثان :

وهل ترون ان الانسان المعاصر هو الذى اثاركم بمشاكله ، ام انكم دفعتم الى هذا التفكير من خلال دراسة الانسان فى كل العصور ؟

سارتر :

ان مشكلة انسان المجتمع الصناعى هى التى جعلتنى افكر هكذا .. فالمعامل والالات جعلت الفرد يتضاءل حتى يصبح هباء لا قيمة له الا مع الجماعة ، وان الوجودية لثورة على جعل الفرد وسيلة لاية غاية لان الانسان غاية فى ذاته ...

(تسمع جلبة واصوات مختلفة يرتفع بينها صوت نسوى)

الــــراوى :

وهذه سيمون دى بوفوار صديقة سارتر والكاتبة الشهيرة تحدثنا عن صديقها :

سيمـــــون :

عرفت سارتر اثناء دراستى للفلسفة معرفة احسبها كبيرة .. وكان يدهشنى بنشاطه وتصرفاته اذ كان اكثر زملائى حيوية وحركة ، وعندما كنا نخرج الى النزهات كان يغنى بصوت مرتفع ويقفز من مكان الى مكان ، اما حين كنا نجتمع بالمقهى الصغير الذى يحبــه فى شارع مونبارناس او مقهى «الدوماكو» بحى سان جرمان ، فكان الجد يعلــو طلعته فنغرقه بالاسئلة التى كان يجيب عليها فى هدوء غريب .

ساله احدنا مرة عن اتهام الناس له بافساد الشباب الفرنسى فاجاب باسما :

ســــارتـــــر :

منذ اكثر من الفى سنة اتهم سقراط بافساد شباب اثينا وحكــم عليه بالموت فاختار شرب السم واسلم الروح قرير العين ، اننـــى انكر بشدة التستر والزيف والرياء باسم الاخلاق والدين وانا اعــــد الوجودية فى صميمها مذهبا اخلاقيا ، انها الاخلاق الحقيقية التـــى يعتنقها الناس لايمانهم بجدواها لا مقلدين للاباء والاجــداد والاساتذة .. لكن ما حيلتى اذا فهم بعض المتحذلقين المذهب الوجودى بانــــه حرية رعناء فوضوية ولم يتعبوا فى فهمها على حقيقتها ؟

ســـائــل ثــان :

ومن هى الوجوديه الحقيقية فى رايكم ؟

ســـارتـــر :

المذهب باختصار ينظر الى الانسان لحظة وجوده ، اما قبـــل هذا الوجود وبعده فالنقاش فيه عقيم ، وحين يعى الانسان وجـــوده عليه ان يخلق قيمه بنفسه ، وهو حر فى هذا الخلق بل هو محكـــوم عليه بالحرية ، اما القيم التى وجد عليها مجتمعه فيجب الا يتبعها الا اذا اعتقد فى حرية بصلاحها ولا يحترمها ويمن بها لمجرد الوهـــم بان الخروج عليها خروج على حظيرة المجتمع وهدم له .

لكن الانسان حر فى اطاره الاجتماعى وموقفه فلا يمكنه ان يقتل لانه حر او يملك القنابل او الطائرات باسم الحرية ، غير انه يستطيع ان يحس وضعيته بالعمل والتضامن مع الذين هم فى نفس موقف مـــن شعبه وشعوب العالم . بل الانسان ليس مطالبا بتغيير وضعيتـــه فحسب بل هو مسؤول عن نفسه وواقعه ومجتمعه ، فيجب ان يختار مصيره ويلتزم مواقف معينة يحددها بنفسه لتحقيق هذا المصير .

سيـــمـــون :

اقول للذين يظنون انهم حماة الاخلاق والحرية : انتم مخطئون فى محاربة الوجودية لان هذا المذهب مخلص جاد فى حل مشاكل عصرنا الصناعى المعقـــد .

لقد كنت مثل بقية الناس لا ارى ان ترك مصير الانسان ـــ ومصير الانسانية بالتالى ـــ لحرية الافراد ، ولكننى اقتنعت آخر الامر بـــراى

سارتر خاصة عندما انضممنا فى الحرب العالمية الثانية الى حـــزب المقاومة الفرنسية ، كنا آنذاك نعمل ليلا ونهارا فى كتابة المنشورات السرية وتوزيع البلاغات والانباء .

ان سارتر فى هذه الايام العسيرة من تاريخ العالم لم يفقد صلابته ولكنه لم يفقد كذلك دعابته ومرحه فكان كثيرا ما يقول لى : « الان انت تمارسين حريتك ، انها حرية ضخمة تحمل مشاكل الدنيا كلها ولكنهـا مشـاكل رائعة » .

وحين قبض على سارتر كنت فى قلق عميق لاننى اومن ان المصيبة الكبرى التى يمكن ان تلحقنى فى حياتى ان يموت قبل ان اموت ، لكـن الحلفاء ما لبثوا ان انتصروا فوصلتنى منه هذه الرسالة :

« كنت ارغب فى الكتابة باصرار ولكنهم لم يسمحوا لى بذلـك اطلاقا ، لقد كانت ظروف كفاحنا القاسية ترغمنا على العيش بلا قناع يخفينا عن انفسنا ، ويجعلنا نصمد بقوة فى ذلك الموقف الحرج الـذى يسمونه الوضع البشرى .

وكنت فى المرات القليلة التى يسمحون لى فيها بالخروج الى فناء السجن لبضع دقائق اتذكر الشاعر التركى ناظم حكمت السجين :

(موسيقى مناسبة تصاحب القصيدة)

ناظـم حكمت :

« اليوم

وأنـا

لاول مرة فى حياتى

تطلعت الى السماء دون اضطراب
مستغربا ان تكون بعيدة الى هذا الحد
وجلست على الارض
وكلى تهيـــب
والصقت ظهرى على الجدار الابيض
فليس الان موضوع تفكير
ليس من نضال فى هذه البرهة
ارض وشمس وانا
أنـــا انســـان سعيـــد »

(يعود سارتر) :

لقـــد هب الرفاق ـــ وانا اشكرهم ـــ فحملونى من السجن إلـــى البيت ، كانوا فرحين بالنصر ، اما انا فكنت افكر فى تسجيل هذه الفترة الخطيرة من حياة فرنسا . ولكم تمنيت لو كنت معى لتسمعين قطعة ابولينير التى تحبينها . أما زلت تحفظينها ؟ :

(موسيقى مناسبة)

«وصلنا باريس
والنفير العـــام يقـــرع
ففهمنـــا رفيقى وانـــــا
ان السيارة الصغيرة كانت قد قادتنا الى عصر جديد
وبالرغم من اننا كنا قد اصبحنا ناضجين
فقد كنا مع ذلك نولد آنذاك من جديد »

(موسيقى)

الـــــراوى :

ان سارتر لم يترك الانسان ثائرا على اشكال الحياة الفكرية والاخلاقية المزيفة دون بناء اسس جديدة لثورته كما فعل اندرى جيد فى كتابه « الاغذية الارضية » بل اكد للانسان حريته ولكنه جعلـه مسؤولا عنها وعن حرية اخيه الانسان فى كل مكان والزمه بالدفـاع الى النهاية عن هذه الحرية التى تربط مصيره مع جماعات بشرية كثيرة فى كل اصقاع الارض .

والالتزام عند سارتر ذو فهم خاص ، استمع اليه يشرح معنى الالتزام :

من الناس من يقول ان الالتزام معروف فى كل العصور ، فالمجتمعات القبلية كانت تسخر الشعر والملاحم فى خدمتها ، والديانات اوجدت دائما من يحميها بقلمه الى جانب سيفه لانها اصبحت رمزا لكيان المجتمع كلـه .

ان هذا النوع من الالتزام فى اعتقادى التزام غير حر فرضته ظروف خاصة، اما الالتزام فيما اظن فهو شخصى تفرضه الاحداث الاجتماعية المعينة فى المجتمع المعين .

وانا كاديب التزم بقضايا عصرى لان الادب وظيفة اجتماعية خطيرة ، ولهذا فالنوع الادبى الذى يستطيع تادية هذه الوظيفة هو النثر دون غيره لان الشعر والتصوير والموسيقى لا تستطيع ان تلتزم تلك الاهداف التى تمثل رسالة الادب الاجتماعية ويجب ان يفهم من رايى ان ارتباط الادب بالمجتمع لا يعنى الارتباط بالقضايا المحلية بل يشمل رحاب المجتمع الانسانى العام ويدافع عن حرية الفرد اينما اهدرت هذه الحرية ولم يظفر بها الناس كحق من الحقوق .

ولكى يكون الادب ادبا ملتزما لا بد ان يتنفس الادب هواء الحرية بملء رئتيه ، لا بد من حرية الكاتب فيما يكتب ولا بد من حرية القارىء فيما يقرأ ليتحقق ذلك الهدف المثالى لمبدأ الالتزام ، اما حرية الكاتب فلن تتوفر الا اذا تخلص من الخضوع لتيارات سياسية معينة تملى عليه ما يتفق ووجهة نظرها من آراء وافكار ، واما حرية القارى فتتمثل فى عدم ارغامه على قبول لون بعينه من الانتاج الادبى الذى يتجه الى غايه محددة وهدف مرسوم ، لا مناص من حرية الفرد الكاتب وحرية الفرد القارىء حتى يتمكن الادب من تادية رسالته الالتزامية ، ولن يكون الاديب ملتزما وهو مشدود الى عجلة نظام سياسى يوجهه فيتجه ويدفعه فيندفع ويسيره فيسير ، وما دام القراء مقيدين بنظم سياسية خاصة تفرض عليهم ان يقراوا هذا ويدعوا ذاك فهم عبيد ، والادب الحر الملتزم لا يمكن ان يخاطب العبيد ..

ذاك هو صوت سارتر الاديب المناضل والفيلسوف الثائر من اجل حرية الشعوب والافراد .

ان الانسانية المتحاربة فى شراهة وطمع لم تفقد ابدا اصواتا صادقة النبرات تجلجل فى معمعاتهاقوية مؤمنة متفائلة بحرية الانسان وحقه فى العيش الكريم والعالم الافضل .

(موسيقى)

القنيطرة : ابراهيم السولامى

المصادر المعتمدة فى هذه الدراسة :

١) بالعربية:

ـ تاريخ الادب الفرنسى فى القرن العشرين : ترجمة نبيه صقر
ـ فلاسفة الحكم فى العصر الحاضر : عباس العقاد
ـ الوجودية : انيس منصور.
ـ الفلسفة الوجودية : زكريا ابراهيم
ـ مجلة الكتاب عدد يونيه ١٩٥٣

٢) بالفرنسية :

Situation T. II : J.-P Sartre.

La force de l'âge : S. de Beauvoire.

J.-P. Sartre par lui-même : Francis Jeanson.

Introduction aux existentialismes : E. Mounier.

عــزوف

الشــاعــر : محمــد الشوفانى

هانسـمـات الـدلال لـهـا خطـر
تـؤانـس قسمـات هـدمـا الذعر
تـؤانس خـلـجـات روع الشعـر
منابعهـا ، طـلاهـا بلـون الغضـا

قسماتـك ما لهـا والنغمـة نفـر ؟
وغرفتـى الحالمـة ليـاليهـا دهـر
وشباكهـا على النهـر بوحهـو عطـر
وأنـا ، همـى هـذان الخافقان ينبضا

انا ، متعبة الجفن امرى يا له امـر
تتعجبيـن : ((أما يصحـو لك سكـر
شاعـرى ، رقصاتـى لـك كـثـر
افـق ، هـذا زيـت السـراج انقضا

رفيقة الليل نــامــى مرتاحة الجفــن
وليــنـــام السراج ، فثمالتى تضــنــى
يشـــرد النقـــر ، ومنى يشرد ذهنـــى
ولتدعـــانــا ، نذرع مجهـول الفضـــا

يــا انت ، ما اهملتك مـــوجــة لحنى
حـــيـــن الليـــالى كـــانـــت للتفنــى
رقصـــة مـــنــك لاغفــو ، ومنى ...
مـــا عـــدت مــلاحا لذاك الفــضــا

يـــا رفيقـــة ، رافـــة بى لـــو تنامــى
ودعينـــى للضيـــاع الملـــم حطامـــى
فالتشهى كـــان يومـــا مـــن هيامـــى
وهيامى ، ســهـــر ، واحتراق فـــرضا

رفيقـــة الليـــل انـــا لحـــن اســيـــر
خطواتـــى عشـــقـــت دربـــا نضيـــر
خطـــواتـــى عثرها اشـــواك قبـــور
خـــطـــواتـــى عشقت صبحا ما اومضا

كـــان لى حـــس هـــذه الـطـــواف
كـــان قلبـــى عـــاشقـــا للقـــطـــاف

فلـــواه الكـــد مجـــهـــولا فى القيـــاف
لاهـــثـــا ، مـــا بـــارق عـــون اضـــا

كـــان لى ، وايـــن لـــى مـــا كـــان ؟
انـــا على السفـــح المجنـــون هيمـــان
وهذا المدى ٥٥ التـــا من معـــــان ؟
اجوبـــه ويجهـــدنـــى ملهـــاة للفضـــا

مـــا عـــدت غرا يـــا رفيقـــة الليـــل
مـــا عـــدت ذلك اللهفـــان للوصـــول
وهمى ، اعقل من هـــزة خصر .. فتل
كـــان همى ساقا غضيضـــا ابيـــضـــا

فلتنامـــى ، ولينـــام السراج مـــعـــك
واعـــذرينى ، ان عزوفـــى ضيـــعـــك
فلكـــم اثـــرى نشيـــدى مسمـــعـــك
ولكم ايقظتنـــــا الديك : ((انهضـــا))

قصة

أوراق تحت المطر

بقلم محمد بيدى

كان يسير وحيدا فى ذلك الطريق الهادىء الساكن سكون المقابر يتعثر فى مشيته ويقف بين حين وآخر كى يتأمل غيوم الليل الدكناء او مصابيح الطريق الخافتة ، او ينصت لنباح بعيد يبدو له حزينـــا .. ونظر الى ساعته فوجد الحادية عشرة، ولكن ، غدا يوم احد. ما اعجب الحياة وما اتفه الوجود ، قال لنفسه . ثم اخذ يردد بصوت ابـــح متخفض بدا يعلو قليلا : « ليت يا يوم مولدى كنت يوما بلا غد » وتذكر المساء الحزين الذى قاد خطواته ، قبل ساعات معدودة ، الى حانـــة متواضعة حيث انزوى وكآبته وكؤوسه .. لقد استرق الحديث لبعض جيرانه الذين كانوا يتذكرون وهم يقهقهون .. وجوههم السمراء تبتسم ولكن لم يكن يخامره شك فى ان قلوبهم جميعا تنزى الما وحـــزنا .. كانوا يتحدثون عن اعمالهم المختلفة وعن حياتهم اليومية الرتيبـــة ويصوغون منها نكتا يضحكون لها كثيرا كثيرا .. المـــهــزومـــون .. الخائبون .. كلنا هكذا .. واشعل سيجارة ثم تابع طريقه متلكئـــا متعثرا ..

وما لبث أن وصل الى بيته الهادىء المنفرد .. بيت المازب .. ثياب على المشجب واخرى على الكرسى الخشبى .. اعقاب سجائر هنا وهناك والطفاة مقلوبة خبز وفواكه فوق كتب مبعثرة : الشيطان والاله الطيب .. المعذبون فى الارض دنيا الله .. الانسان الثائر .. العبث . وعلى السرير فوق المنامة المطروحة فى اهمال كتابـــــان اغانى الحياة والوضعية البشرية .. ورمى عنه المعطف ثم جلـــس على الكرسى امام الطاولة ودفن وجهه بين راحتيه ثم راح يفكر ..

صور من الماضى تنثال على خياله .. اصدقاءه فى المدرســـة .. المتفائلون الباسمون والمتشائمون العابسون .. الاثرياء والبؤساء .. الامانى الفسيحة بعد نجاحه فى البكالوريا والخيال المجنح .. ثم دنيــا الواقع .. ابوه العاطل وسبعة صغار ابرياء والبيت الوضيع ومشاكل لا تحصى .. وتقلصت ظلال الاحلام الوارفة امام شمس الحقيقــــة المحرقة .. وكانت تضحية وكانت ليلة وداع . امه باكية الصـــوت دامعة المآقى تضمه وتقبله . وابوه يزوده .. وهو حزين ــ بنصائحه . واخوته يحيطون به فى فضول برىء ويتطلعون اليه باعين حائـــرة ثم كانت السيارة العمومية تنهب به الطريق نحو مقره الجديد البعيد حيث سيشتغل ..

رفع راسه ، كانه يريد ان ينفض عنه تلك الصور التى تثيــر شجونه لصادفت ناظريه صورة معلقة على الحائط امامه ، وتأملهــا طويلا .. تامل نفسه عندما كان يبتسم فى ثقة وشىء من الزهـــو والغبطة ، وتامل الفتاة ذات البسمة الربيعية العذبة التى كانت بجانبه، لعادت الذكريات تصرع خياله ، هذه « آماله » لم يتسن له حتــى ان

يقول لها وداعا .. او الى اللقاء .. وتناول الصورة من الحائط فى هدوء فقرا على ظهرها بخط مرتجف : « الى حبيبى وحيد .. عنوان حبنا الخالد » فابتسم فى مرارة وتفكر قليلا ثم اخذ ورقة وقلما وشرع يكتب : اى حبيبتى ..

لعلك تذكرين امسياتنا الحاملة اشجار تلك الحديقة البديعة التى شهدت مولد حبنا .. تذكرين الوان الغروب الساحرة واشعته الرقيقة التى كانت تنساب من بين الاغصان المتعانقة كى تستقر فى قلبينا .. كنت تقولين ان ذلك المنظر ياسرك .. وانا ايضا كان ياسرنى ويحذرنى عن الواقع الذى اعيشه . تذكرين همسنا وارتجاف اناملنا واحلامنا . التفاهم والسعادة والكفاح الشريف .. ما ابدع ذلك العالم ، ولكن .. ولكن — يا شهابا اضاء سمائى — ما الحياة سوى واقع مر تتقبله النفوس على مضض .. فانا الان مجرد موظف بسيط كمئات المهزومين الخائبين فى هذا البلد .. ماذا عسانى اهدى اليك وقد غاضت تلك الامانى التى كنت تطرزين لها من خيالك الخصب احلاما ربيعية ذات ازهار ورياحين تعبق شذى .. تعبق شذى .. ماذا ؟ انك تحتجين وتثورين ، اليس كذلك ؟ ولكن حبيبتى ، قصة مويسان التى قرناها معا والتى اعجبتك لا زال ابطالها احياء فى مخيلتى : الفتاة الجميلة التى تضحى بأمانيها واحلامها الكبيرة من اجل فتى تتوهم انها تحبه فى عمق ، وهى تعلم ان طريقه طويل مضن ، لا تلبث ان تشقى فتندم وتتقهقر ، انا لن اسمح لانانيتي ان تجنى على سعادتك .. سأظل اسيرا وحيدا فى طريقى المدلهم ، هكذا شاء قدرى . اما انت فالمستقبل كله لك مشرقا وضاءا ، قد اختلفت بنا سبل الحياة ، فوداعا يا حلمى الجميل .. وداعا ..

حاشية : هذه صورتك ذات العبارة/الطريفة ابعث بهـا اليـك مرفوقة بهذا الخطاب لم يعدّ لى حق فى الاحتفاظ بها.

وامضى الرسالة ثم جعلها والصورة فى ظرف ابيض ، وانتبه بعد ذلك الى حبات المطر التى بدات توقع على زجاج النافذة لحنا قويا عنيفا. فجذبه ذلك الايقاع الغريب وخطا خطوتين فى اتجاهه ثم فتح زجـاج النافذة واخذ يتأمل خيوط المطر المتدفقة على الارض فى غزارة .. وشعر شعورا قويا بوحدته وكآبته فاخذ يداعب الرسالة بأناملـه فى حنان ويطيل اليها النظر .. وتصور آمال وهى تفض الغلاف وتقـرا ما بداخله .. وبدت لخياله عينان تحدقان من فوق كتفها الى الاسطر الضئيلة وتبسمان .. تبسمان فى هزء .. ثم تلتقى العيون وتضحـك الشفاه وتلتحم .. ويبقى من رسالته قصاصات تشطبها الريـاح .. واحس بيده تتقلص وتخنق شيئا صغيرا .. شيئا يشبه الوليـد ونبضات قلبه ..

وكان بعد ذلك يتامل ــ وسيجارة تحتضر بين شفتيه ــ اوراقا نصفها غاص فى الوحل ، ونصفها الاخر تغرقه قطرات السماء العنيفة.

فلسطين تصرخ

للشاعر : عبد القادر القط

الغيـم فى الجـو قـد اقشعر
وتنـاثرت لآلىء المزن .. تنتحـر
ومـرارة الـريـح بطاشـة .. نـار تستعـر
حتـى عيون المها .. بين الجماجم تستتر
بـاحثـة عـن القمـر
خـوفـا مـن السعيـر
خـوفـا مـن لظى القبـر
ويخبو اللؤلؤ .. والمرجان فى الهوة عثر
ويبكى النرجس .. ينتحب من فظاظة القدر
قطـار يعوى ليس له اثـر
قمىء الخلقة .. من الزقوم امـر
متى تفتح المها عيونها ؟
متـى يعود المرجان .. مع الاحرار حـر ؟

متـــى يصمت عويــــل القطـــار ؟
متـــى ينتهى فـــلا يصـــر ؟

× × × ×

غيـم جميـــل اقشعر
قـــطـــرات عـــتبـــة تنتحـــر
نسائم عليلة أضحت نارا تستعر
عيـــون عسلية تخفى حسنها .. تستتر
لؤلؤ يخبـــو ، ومرجان فى الهاوية اندثـــر
ونرجس يشهق من قساوة القـــدر
هـــــذا الـــقـــدر !

× × × ×

حتى ينقشع هذا الجو الاغبـــر ؟
فـــلا السماء تجفو وتتكدر
ولا النسيم الرقيق من الحشد .. يسخـــر
ولا اللآلىء مـــن الجمـــال تنفـــر
مـــتـــى .. مـــتـــى .. ايها الجدار ؟!

× × × ×

ان العمر ينقضى .. هذا العمر
والساعة الحائرة .. بسرعة تمر

فــلا الشفقة تقطن قلبها ولا الصدر !
لا .. كلا .. اننا لن نفر ..

ان الدم المهدور لا بــد له من ثــار

وثــورة جامحة عن الحقيقة تستفسر

وتنقب الارض الجرداء حتى القبر ..

اننا لن نعيش صامتين كاغنام الراعى او البقر

يقــودها حيــث شاء .. فهو القدر

فلنتكلم .. فلنصرخ .. نتحدى هذا الدهـــر !!

مسرحية أهمية الاتفاق

(بيرتول بريخت)

الشخصيات :

الطيارون
ثلاثة ميكانيكيين
قائد الكورس
الراوى
ثلاث بهلوانات
الكورس الرسمى .

(على خشبة ، ابعادها يلزم ان تكون بمقدار عدد الشخصيات، بداخلها يوجد الكورس الرسمى ، وعلى اليسار توجد الاركسترا ، وفى اليسار، ايضا، وفى الصف الاول ، طاولة يجلس عليها قائد الاركسترا ، وقائد الكورس ، والراوى . وعلى مقعد مدرسى ، فى الصف الاول ،يجلس المغنون، الذين يقومون بدور الطيارين الذين سقطوا مع طيارتهم الى الارض. ولكى نجعل من المشهد مشهدا واضحا ، نستطيع ان نضع على الخشبة او بجانبها بقايا طائرة محطمة).

— ١ —

قصة تحـــليـــق الطيارين

الطيارون الاربعة يقصون حكايتهم :

فى العصر الذى اخذت فيه الانسانية
تستفيـــق .
صنعنـــا طائـــرات
من الخشب، ومن المعدن، ومن الزجاج ،
وحلقنـــا عبـــر الفضـــاء
واسرعنا ثـــلاث مـــرات اكـــثـــر من العاصفة .
بمحركنـــا الـــذى هـــو اقوى من مائة حصان
ولكنـــه اصغر من حصـــان واحد .
طـــوال الف سنة لم يسقط من اعلى الى اسفل
ســـوى الطائـــر .
الحجارات الموغلة فى القدم
لـــم تشهـــد لاى انســـان
انـــه حلـــق عبـــر الفضاء .
ولكـــن نحن ، لقد ارتفعنا
نحـــو الالف الثانى
مـــن عـــصـــرنـــا .
ان سذاجتنا الفولاذية
مظـــهـــرة ما يمكن فعلـــه
مـــن غير ان تتركنا ننسى ما لم ندركه بعد .

— ٢ —

السقــــــوط

قـــائد الكورس وهو يتجه الى الطيارين « الساقطين » :

الان ، لم يعد فى امكانكم ان تحلقوا
عبثا بعد الآن ان تسيروا دوما باسرع ما يمكن .
وحتـــى على الارض
هنـــاك ارتفـــاع يكفيكم
تضطجعون فى سكون
وهـــذا يـــكـــفـــى .
انتم الذين لم تصبحـــوا قط فوقنا
انتم الذين لم تصبحوا بعيدين عنا
انتم الذين لم تصبحوا فى اوج التحليق
ولكـــن فى هـــدوء
خبرونا مـــن انتم .

الطيارون الساقطون يجيبون :

لقـــد عملنا مع زملائنا
وتحسنت طائراتنا
وحلقنـــا عاليـــا عاليـــا
دائمـــا عاليـــا جـــدا
وانهـــزم البحـــر ،
وقـــد كانت الجبال فى ذلك الحين قد انخفضت ،
وحمى المدن ـــ الفطرية ، وحمى النفط

اخــذتــنــا .
افكارنـــا كان موضوعها : الآلة ،
وصراعنا كان مرهونا بالسرعة .
داخل نـــار المعركة نسينا اسماءنا ومحيانا
وسرعة السباق ، التى دائما تتضاعف ،
انستنا هـــدف السباق .
غـــيـــر اننـــا نرجوكـــم
ان تقتربـــوا مـــنـــا .
ونـــاولونـــا بعض الشراب
واجعلوا وسادة تحت رؤوسنا
تعالـــوا ســـاعـــدونا
لاننـــا لا نريـــد ان نمـــوت .

الكـــورس يتجـــه نحـــو الجماعة :

اتسمعـــون ، هناك اربعة اشخاص
يرجون مساعدتكـــم
لقد انفجرت بهم الطائرة فى الهواء ، ووقعوا
عـــلى الارض .
ولا يودون الموت
لاجل هذا يطلبون ان تقدموا لمساعدتهم
ها هـــو ذا
قـــدح مـــن الماء
وهـــا هـــى ذى وســـادة

اجـيـبـونـا :

هل انتم ملزمون بمساعدتهم ،

الجماعـة تجيـب الكورس :

نـعـم .

الـكـورس للجماعـة :

هـل ساعدوكم انتـم ؟

الجماعـة :

لا .

الراوى يتجه نحـو الجماعة :

سنعرف، من خلال هذه الاجساد ، التى اخذت تبرد :

هل عادة يقـدم الانسان لمساعدة الانسان .

— ٣ —

استفتاءات لاثبات اذا ما كان الانسان عونا للانسان

الاستفـتـاء الاول

قائد الكورس يتقدم :

لقـد عبر احـدنـا البحر

واكتشف عالما جديدا

بيد ان آخرين تاثروا خطاه الى هناك

واقاموا مدنـا كبيرة بالعرق والتفكير .

الكـورس ، يجيـب :

ومـع ذلك ، لم يعد ثمن الخبز اقل مما هو عليه الآن .

قـائـد الكـورس :

صنع احدنـا آلـة
بسببها تحكم البخار فى الدولاب
فكانـت ام كثير مـن الالات .
وعمـل الانسان فيها
يـوما بعـد يـوم .

الكـورس، يجيـب :

ومـع ذلك ، لم يعد ثمن الخبز اقل مما هو عليه الآن .

قـائـد الكورس :

مـن بينـنا كثيرون فكروا
فى دوران الارض حـول الشمس
وفى قلب الانسان ، وفى القوانين
الكـونيـة ، وفى تركيب الهـواء
وفى اسمـاء البحار العميقة .
ولـقـد اكتشفـوا
اشيـاء عظـيـمـة .

الكورس يجيب :

ومع ذلك ، لم يعد ثمن الخبز اقل مما هو عليه الآن .
بـل بالعكس ،
تفشى البؤس فى مدننـا
منـذ وقـت طويـل
ان ماهية انسان ما ، لا يستطيع اى احد

ان يعلمهـــا .

فبينما تحلقون هكذا ، تدبون على ارض

كـــائـــن مماثـــل لكـــم

ولم يكن لـهـــن الانســان اى شىء

قـــائـــد الكورس يتجه نحو الجماعة :

اذن ، هل الانسان عون للانسان ؟

الجماعة تجيـــب :

لا .

استـــفتـــاء ثـــان .

قائـــد الكورس ، يتجه نحو الجماعة :

تـــاملـــوا فى الصور التى **نعرضها عليكم**

او تقـــولـــون بعد ذلك

ان الانسان عـــون للانســـان ؟

(تعرض عشرون صورة فوتوغرافية تظهر كيف يدمر انـــاس اناسا آخرين فى ايامنا هذه)

الجماعـــة تصيـــح :

الانسان ليس عونا للانسان !

استفتـــاء ثالـــث

قائـــد الكورس ، يتجه نحو الجماعة :

انظروا بهلواناتنا ، انهـــم سيطلعونكم

كيف يقـــدم الرجال لمساعدة رجل !

(يتقدم الى الخشبة ثلاث بهلوانات السيرك ، احدهم عملاق يسمى السيد (شميت) يرفعون اصواتهم كثيرا عـــنـــدمـــا يتكلمـــون).

البهلـــوان رقـــم ١

سيد شميت ، الا تريد ان تجلس ؟

البهلوان رقم ٢ —

سيد شميت ، ها هو ذا كرسى ، لماذا لا تجيبنا ؟

البهلـــوان رقـــم ١ —

أنت لا ترى ان السيد شميت يرغب فى ان يتامل القمر ؟

البهلـــوان رقـــم ٢ —

قـــل اذن ، انت لماذا تتملق السيد شميث ؟

ان ذلك ما يزعج السيد شميت .

البهلـــوان رقـــم ١ —

لانـــه قوى جدا ، ومن اجل ذلك ، فانى اتملقه

البهلوان رقم ٢ —

وانـــا ايضـــا .

البهـــلوان رقم ١ —

ارجوك يا سيد شميت ان تجلس معنا .

السـيــد شميت —

انـــى لا اشعر براحة فى هذا المساء .

البهلوان رقـــم ١ —

ينبغـــى ، اذن ، ان تتسلى يا سيد شميت .

السـيــد شميت —

اعتقد اننى لست قادرا على التسلية (صمت) خذ مثــلا ، مــا هـــو لون وجهـــى فى هذا المساء ؟

البهلوان رقم ١ —

وردى ، السيد شميت ، دائما وردى .

السيد شميت —

ها انتم ترون ، وانا كنت اظن اننى شاحب الوجه .

البهــلــوان رقـــم ١ —

عجبا ، شىء مضحك ، قلت بانك تظن نفســـك شاحـــب الوجه ؟ ها ! بالفعل ، عندما انظر اليك هكذا، الآن، يلزم أن أقول ، انا ايضا ، اننى اجدك شاحب الوجه .

البهلوان رقم ٢ —

لو كنت فى وضعيتك هذه يا شميت ، وفى مثل محياك لجلست.

السيد شميت —

فى هذا اليوم، احب كثيرا الا اجلس .

البهلـــوان رقم ١ —

لا ، لا، لا تجلس ، خاصة لا تجلس ، الافضـــل ان تـــظـــل واقـــفـــا .

السســيـــد شميت —

لماذا تقول يلزم ان اظل واقفا ؟

البهلوان رقم ١ للبهلوان رقم ٢ —

انـــه لا يستطيع ان يجلس ، فى هذا اليـــوم ، لانه ، ربمـــا لا يمكنه ان يقـــوم ابـــدا .

السيـــد شميـــت :

يـــا الهـــى العظيم .

البهـــلوان رقم ١ —

هـــا انت تـــرى ، انه اخذ يدرك ذلك بنفسه .

ففى هذه الوضعية ، الافضل ان يظل السيد شميت واقفا .

السيـــد شميت —

قـــولا لى ، اننى اكاد اعتقد ان رجلى اليسرى

تؤلمنى قليلا .

البهـــلوان رقم ١ —

الما عظيمـــا ؟

السيـــد شميت (بألم :)

وكيـــف ؟

البهـــلوان رقم ١ —

هـــل تؤلمك كثيرا ؟

السيـــد شميـــت —

نعـــم ، انها اخذت تؤلمنى كثيرا ...

البهلـــوان رقـــم ٢ —

لانـــك ظللت واقفـــا .

السيـــد شميـــت —

اذن ، هل يجـــب ان اجلس ؟

البهلـــوان رقـــم ١ —

لا، بالاخص لا، ينبغى ان تتخلص من ذلك باى ثمن

البهلـــوان رقـــم ٢ ـــ

اذا ما كانت الرجل اليسرى تؤلمك ، فليـــس هـــنـــاك الا طريقة واحدة : ان تنزع الرجل اليسرى

البهـــلوان رقم ١ ـــ

وباسرع ما يمكن ذلك هو الافضل .

الســـــيـــد شميـــت ـــ

لعمرى ، اذا كنـــتـــم تظنـــون ...

البهلـــوان رقـــم ٢ ـــ

طـــبـــعـــا

(يقطعان رجله اليسرى بالمنشار).

الســـيـــد شميـــت ـــ

هاتـــوا لى عكازة من فضلكم .

(يعطيانه العكازة) .

البهـــلـــوان رقـــم ١ ـــ

اذن ، هل يمكنك ان تقـــف الآن منتصبا يا سيد شميت ؟

الســيـــد شميت ـــ

نعـــم ، من الجهة اليسرى ، ولكن الرجل ، ينبغى ان تعطونى اياها ، فانا لا اريد ان افقدها .

البهـــلوان رقم ١ ـــ

ارجـــوك ، اذا لم تكن لك ثقة فينا ...

البهلـــوان رقم ٢ ـــ

يمكن ان نذهب لحال سبيلنا .

السيد شميت ـ

لا ، لا ، يلزم ان تظلوا هنا ، لانه لا يمكن ان امشى ، الآن ، وحدى .

البهلوان رقم ١ ـ

خذ ها هى ذى رجلك .

(يأخذ السيد شميت رجله ويضعها تحت ذراعه)

السيد شميت ـ

حسنا ، ها هى ذى عكازتى سقطت .

البهلوان رقم ١ ـ

نعم ، ولكنك استرجعت رجلك .

(يضحك البهلوان ضحكات رنانة)

السيد شميت ـ

حقا اننى لا استطيع ابدا أن أظل واقفا ، فما هى ذى ساقى الثانية اخذت توجعنى، طبعا..

البهلوان رقم ١ ـ

هذا مفهوم ..

السيد شميت ـ

اننى لا اريد ان ازعجكما اكثر من اللازم ، ولكن من غير العكازة لا استطيع المشى الا بصعوبة .

البهلوان رقم ٢ ـ

ما دمنا سنعمل ، فبدلا من ان نلتقط عكازتك ، نستطيع كذلك ، ان نقطع رجلك بالمنشار ما دامت تؤلمك

السـيـد شميـت ـ

نعـم ، ربما بعد ذلك ساشعر براحة .

(يقطعان رجله بالمنشار فيقع على قفاه)

السـيـد شميـت ـ

اننى ، من الان ، لن استطيع القيـام

البهلـوان رقـم ١ ـ

شىء مؤلم ، بالضبط هذا ما كنا نريد الا يقع بـاى ثمـن :

هـا أنـت جالـس .

السـيـد شميـت ـ

كيف ؟

البـهـلـوان رقـم ٢

الا تستطيـع القيـام يـا سيـد شميت ؟

السـيـد شميـت ـ

لا تقل لى هذا، انك بذلك تؤلمنى ،

البهـلـوان رقـم ٢ ـ

ما ينبغـى الا اقـولـه ؟

السـيـد شميـت ـ

ذلـك ..

البهـلـوان رقـم ٢

انـك لا يمكنـك ان تقـوم ابـدا ؟

السـيـد شميـت ـ

الا يمكنـك ان تصمـت ؟ لا ؟

البهلوان رقم ٢ —

لا يا سيد شميت ، بيد اننى استطيع اقتلاع اذنك اليسرى ، وبهذا لن تسمعنى عندما اقول لك : انك لن تستطيع القيام •

السيد شميت —

نعم ، ربما سيكون هذا احسن •

(يقتلعان اذنه اليسرى)

السيد شميت للبهلوان رقم ١ —

الان لا اسمع الا اياك •

(البهلوان رقم ٢ ينتقل الى الجهة الاخرى) ارجوكم هاتوا اذنى ! (فى غضب شديد :) وهاتوا ، أيضا ، رجلى الثانية، ان هذه ليست طريقة لمعاملة مريض ، ارجعوا الى ، فورا ، الاعضاء التى تنقصنى ، انها ملكى •

(يضع البهلوان الرجل الاخرى تحت ذراعه ، والاذن فوق ركبتيه .) ثم اذا ما كنتم تعتقدون انكم ستصنعون بى كل ما يخطر ببالكم ، اذن فانتم ••• آى ، ماذا حصل •• اعى ؟

البهلوان رقم ٢ —

طبعا مع كل هذه ((البضائع)) التى تجرها •

السيد شميت —

ايه ! نعم ، الا يمكنكم تخلصونى منها ؟

البهلوان رقم ٢ —

ولكن يمكننا ان نزيل منك ذراعك كلها . اذ ذاك ستكون فى حــالــة احسن .

السـيـد شمـيـت ــ

اجــل ، ارجوكم ، اذا ما كنتم تعتقدون ذلك حقا ...

البهلــوان رقــم ٢ ــ

طــبــعــا

(يقطمان ذراعه اليسرى بالمنشـار)

السـيـد شميـت ــ

اننى اشكركم . انكم تتحملون ، من اجلى ، كثيرا من الالم .

البهـلــوان رقــم ١ ــ

هــا انــت يــا سيد شميت، انكتملك ، الان، كل ما تريد ولا يستطيع احد ان ينزع منك شيئا .

(ويضمان فوق ركبتيه كل الاعضاء المقطوعة ، حيث يــاخذ السيد شميت بتأملها)

السـيـد شميـت ــ

هذا شىء مضحك ، هناك برسى افكار مقلقة . ارجــوك (للبهلوان رقم ١ :) **قص على بعض الاشياء الجميلة .**

البـهلـوان رقــم ١ ــ

سمعا وطاعة يا سيد شميت ــ هل تريد ان اقص عليــك حكــايــة ؟ غادر سيدان مطعمــا ، وتشاجــرا كــمــا يفعل ملتقطو الاسمال ، وتراجما بروث الخيل، ورمى احدهما قبضة من الروث فى فــم الاخر ، فقــال له : « حســنــا .

سابقى هكذا الى ان يحضر رجال البوليس »

(يضحك البهلوان الثانى ، بينما لا يهتم السيد شميت بذلك)

السيد شميت —

ان حكايتك ليست جميلة . الا تستطيع ان تقص على اخرى جميلة ؟ اننى اكرر عليك بان افكارا مقلقة تدور براسى .

البهلوان رقم ١ —

آسف ، اننى لا اعرف يا سيد شميت حكاية اخرى حتى اقصها عليك .

البهلوان رقم ٢ —

ولكن فى استطاعتنا ان نقطع راسك اذا ما كان مملوءا بأفكار حمقاء ..

السيد شميت —

اجل ، اننى اريد ذلك ، ربما سيساعدنى .

(يقطعان البهوانان النصف الاعلى من الجمجمة)

البهلوان رقم ١ —

كيف تشعر سيد شميت ،، الخف قليلا ؟

السيد شميت —

نعم اخف بكثير . انى اشعر باننى خفيف جدا ، بيد انى احس ببرودة شديدة فى راسى .

البهلوان رقم ٢ —

ضع اذن ، قبعتك (يصيح) قبعة .

السيد شميت —

ولكننى لا استطيع التقاطها .

البهلوان رقم ٢ —

هل تريد المكازة ؟

السيد شميت —

حقا ، اننى اريدها (يحاول التقاط تبعته بالمكازة)

ها هى ذى المكازة فلتت منى ، اننى لا استطيع

التقاط القبعة . اننى اشعر ببرد شديد .

البهلوان رقم ٢ —

واذا مازلنا راسك كله ؟

السيد شميت —

لعمرى ، لست ادرى .

البهلوان رقم ١ —

نعم .

السيد شميت —

لا .. حقا انى لا اعلم شيئا ..

البهلوان رقم ٢

تماما .

(يزيل البهلوانان راس السيد شميت فيسقط هذا الاخير على مؤخرته)

السيد شميت

اين انتم ؟ هل من احد ! ضعوا اليد على الجبهة .

البهلوان رقم ١ —

وابن ؟

السيد شميت —

امسكوني باليد

البهلوان رقم ١ —

واين ؟

البهلوان رقم ٢ —

هل تشعر الان بانك اخف من ذى قبل يا سيد شميت ؟

السيد شميت —

لا . لقد اضطجعت وظهرى على حجرة .

البهلوان رقم ٢ —

اوه ! يا سيد شميت ، ليس فى الاستطاعة الحصول على كل شىء .

(يقهقه الاثنان ضاحكين)

(نهاية دور البهلوانات)

الجماعة تصيح :

ان الانسان ليس عونا للانسان .

قائد الكورس :

هل يجب ان نمزق هذه الوسادة ؟

الجماعة :

نعم .

قائد الكورس :

هــل يجب اراقة المــاء ؟

الـــجـــاعـــة :

نـــعـــم .

— ٤ —

المساعدة المرفوضـــة

الـــجـــوق الرســـمـــى :

اذن ، نحن لم نات لمساعدتهم

فلنـــمـــزق الوسادة

ولنسكـــب الماء .

(يمزق الراوى الوسادة ، ويريق الماء)

الجماعـــة (تتلو لنفسها) :

من غـــيـــر شك ، شاهدتم ، فى غير ما مكان ،

انسانا يســـاعـــد آخر

باشكال مختلفة . هذا حسب الحالة التى نحن عليها :

اننا لا نستطيع ان نمر الا عن طريق العنف .

ولكن، ها هى ذى نصيحتنا : لنجابه قساوة العالم

بقساوة اعظم .

لنتخل عن الحالة التى تجعل المساعدة ضرورية

ولنتخل عن طلب المساعدة . اذن لا تعولوا على المساعـــدة

ان رفض المساعدة يفرض العنف .

وقبول المساعدة يفرض هو ايضا العنف .

ما دام يخيم العنف ، ربما ترفض المساعدة .
عندما لا يبقى هناك عنف . لا تبقى هناك حاجة للمساعدة .
اذن ، بدلا من طلب المساعدة ، ازيلوا العنف .
فالمساعدة والعنف شيء واحد .
هذا الشيء الواحد هو الذى ينبغى تغييره .

— ٥ —

المشاورة

الطيار المنهزم :
ايها الاخوان
اننا سنموت .
الميكانيكيون الثلاثة المنهزمون :
نحن نعلم اننا سنموت ، ولكن
انت ، هل تعلم ذلك ؟
انصت الينا جيدا :
انك ستموت تماما .
ستنتزع منك حياتك ،
ستمحى مآثرك .
ستموت من اجل نفسك فقط ،
ولن يهتم بها احد .
لتنتهى ستموت .
ونحن ايضا سنموت .

— ٦ —

تأمــل الموتـــــى

الـــراوى :

تاملوا الاموات !

(تبدو عشر صور للموتى فى حجم كبير ، ثم يقول الـــراوى :

« التامل الثانى للاموات » وتظهر الصور مرة ثانية)

(بعد تامل الاموات ، ياخذ الطيارون المنهزمون فى الصياح)

الـــطــيـــارون :

اننا لا نستطيع ان نموت .

— ٧ —

تـــلاوة نصـــوص الشرح

الكورس الرسمى ، للطيارين المنهزمين :

اننا لا نستطيع شيئا من اجلكم .

ليست هناك الا نصيحة واحدة ،

مـــوقـــف واحـــد ،

يمكننا عرضه عليكم .

مـــوتـــوا ، ولكن تعلموا

تعلموا ولكن باستقامة .

الطـــيـــارون الاربــــع المنهزمون :

ليس لنا كثير من الوقت

اننا لا نستطيع ان نتعلم اشياء كثيرة .

الكــــورس الرسمى :

قليل من الوقت
يكفى لان يكون وقتـــا .
ذلك لان ما هو عادل يدرك بسرعـــة .

(الراوى يتقدم وبيديه كتاب ، يتجه نحو الرجال الاربـــــع ويجلس حيث يتلو فقرات من الشرح)

الــــــراوى :

١) كل من ينتزع شيئا يمسكه . كل من ينتزع منه شىء هو ايضا يمسكه . بيد ان من يمسك شيئا ينتزع منه .
ان من يموت من بيننا ماذا يترك ؟ انه يترك اكثر من طاولته وفراشه ! ان من يموت من بيننا يعلم هذا :
((اننى ساترك كل موجود ، وساهب اكثر مما املك))
ان من يموت من بيننا ، يترك الطريق التى يعرفها والتـــى لا يعرفها ، والثروة التى يملكها ، والتى لا يملكها ، والبؤس نفسه . ويديه ايضا .
ولكن كيف يمكن رفع صخرة من غير تمرين ؟ كيف ترفع صخرة كبيرة ؟ كيف اذا لم نتمرن على الا نتخلى مــــن طاولتنا ؟ وكيف يمكن ان نتخـــلى عما لنا ومـــا ليس لنـــا ، والثروة التى نملك والتى لا نملك ؟
والبؤس نفسه واليدين ايضا ؟
٢) عندما اشتدت بالفيلسوف عاصفة قوية ، ووجد نفسه جالسا داخل سيارة كبيرة يحتل مكانا شاسعا .

اول ما قام به هو ان نزل من السيارة ثم نزع معطفه ثانيا ، ثـــم انسدل على الارض ثالثا . وهكذا تغلب على العاصفة فى اصغر بعد من نفسه هو .

الطيارون الاربعة المنهزمون يسالون الراوى :

هــل تغلب على العاصفة ؟

الـــــراوى :

فى اصغر بعد من نفسه هو ، تغلب على العاصفة .

الطيارون الاربعة المنهزمون :

فى اصغر بعد من نفسه تغلب على العاصفة .

الـــــراوى :

٣) لكى يشجع الفيلسوف انسانا مشرفا على الـمــوت ، هذا الفيلسوف الذى نفذ الى كل شىء ، يلــزمــه بـــان يتخـــلى عـــن خيراته ، وعندما يترك كل شىء ولم تبق لـــه الا حياته ، يقول له الفيلسوف : ((لتتخل اكــثــر)).

٤) اذا ما تغلب الفيلسوف على العاصفة فذلــك لانه كـــان يعرف العاصفة ، كان متفقا معها . اذن ، اذا ما اردتـــم ان تتغلبوا على الموت ، يلزم ان تعرفوها ، وان تتفقوا معها . لكن الذى يبحث عن الاتفاق يرتبط بالفقر . لا بالاشياء ! لان الاشياء يمكن ان تؤخذ منه ، اذن ليس هناك اتفاق . انه لا يـــرتبـــط قطعا بالحياة . لان الحياة تـــوخـــذ منـــه ، اذن ليس هناك ، ابـــدا ، اتفـــاق . ولا يرتبـــط بالافـــكـــار ، ذلـــك لان الافكـــار تـــؤخـــذ ، اذن ، ليس هناك ، ابـــدا اتـــفـــاق .

— ٨ —

الاختبار

— ١

الجوق الرسمى امام الجماعة ، يختبر الرجال المنهزمين :

الكورس :

الى اى حد ارتفعتم ؟

الميكانيكيون الثلاث :

لقد ارتفعنا الى علو لا نهاية له .

الكورس :

الى اى حد ارتفعتم ؟

الميكانيكيون الثلاث :

لقد ارتفعنا الى علو ٤٠٠٠م

الكورس :

الى اى حد ارتفعتم ؟

الميكانيكيون الثلاث :

لقد ارتفعنا الى علو مقبول .

الكورس :

الى اى حد ارتفعتم ؟

الميكانيكيون الثلاث :

لقد ارتفعنا قليلا عن الارض .

قائد الكورس الى الجماعة :

لقد ارتفعتم قليلا عن الارض .

الطـــيـــار المنهزم :

لقـــد ارتفعت الى علو لا نهاية له .

قائـــد الكورس الى الجماعة :

اما هو فقد ارتفع الى علو لا نهاية له .

٢)

الـــكـــورس :

هل حصلتم على مجد ؟

الميكانيكيون الثلاث :

ليس بمجد عظيم

الـــكـــورس :

هل حصلتـــم على مجد ؟

الميكانيكيون الثلاث :

لقد حصلنا على مجد

الـــكـــورس :

هل حصلتم على مجد ؟

الميكانيكيون الثلاث :

مجـــدا عظيمـــا .

الـــكـــورس :

هل حصلتم على مـــجـــد ؟

الميكانيكيون الثلاث :

مجـــدا عظيما لا حد له .

الطيار المنهزم :

لـــم احصل على مجد عظيم .

الــــكـــورس :

اما هو ، فلم يحصل على مجد عظيم .

— ٣

الــكـــورس :

مـــن انـــتـم ؟

الميكانيكيون الثلاث :

نحـــن عبرنـــا المحيط

الــــكـــورس :

مـــن انتـــم ؟

الميكانيكيون الثلاث :

نحن انـــاس من بينكم .

الــــكـــورس :

مـــن انـــتـم ؟

الميكانيكيون الثـــلاث :

نـــحـــن لا حد .

قـــائـــد الـــكـــورس للجماعة :

انـــهـم ليسوا باحـــد .

الطيـــار المنهزم :

انـــا (شارل نانجسير)

الـسكـــورس :

هو ، (شارل نانجسير) .

— ٤

الــــكـــورس :

من ينتظركـــم ؟

الميكانيكيـــون الثلاث :

كثير من الناس ، من وراء البحار ، ينتظروننا .

الـــكـــورس :

مـــن ينتظركـــم ؟

الميكانيكيـــون الثلاث :

آباؤنا وامهاتنا ، ينتظروننا .

الـــكـــورس :

مـــن ينتظركـــم ؟

الميكانيكيـــون الثلاث :

لا ينتظرنا احـــد .

قـــائد الكـــورس :

لا ينتظرهـــم احد .

الـــكـــورس :

اذن ، من يموت عندما تموتون ؟

الميكانيكيـــون الثلاث :

اولئك الذين نالوا مجدا عظيما .

الـــكـــورس :

من يموت عندما تموتون ؟

الميكانيكيـــون الثلاث :

اولئك الذين ارتفعوا قليلا عن الارض .

الكـــورس :

من يموت عندما تموتون ؟

الميكانيكيــون الثلاث :

اولئك الذين لا ينتظرهم احد .

الكــورس :

مــن يموت عندما تموتون ؟

الميكانيكيــون الثلاث :

لا احــــد .

الكــورس :

الان تعلمون

لا احــــد

يموت عندما تموتون

الان التحقوا

ببعدهــم الاصــفــر

الطــيــار المنهــزم :

اما انــا في تحليقي

التحقــت ببعدى الاكبــر ،

فعندمــا كنت ارتفع

لــم يرتفــع احــد اكثر منــى علــوا

ولــم اجــاز كثيرا

ولا يمكــن ان اهنا كثيرا

لقــد حلقت من اجل لا شيء ، ومن اجل لا احد .

لقد حلقت من اجل التحليق ،

ولــم ينتظرنــى احــد ،

ولــم احلــق لالتحق بكم

لقــد حلقت لكــي انفلت منكم ،
ولــن اموت ابدا .

— ٩ —

مجد واستملاك

الكــورس :

والان
اظهروا نتائــج جهودكــم .
ذلــك لان الشيء الواقعي الوحيد
هــو النتيــجــة
هاتوا المحــرك
والاجنحة والاطــار ، وكل
مــا يسمح لكــم بالتحليق
وبكــل مــا صنعتم
اتــركــوا كــل ذلك .

الطيــار المنهــزم :

انني ارفض التخــلي عن ذلــك .
اذ مــا قيمة طائرة
من غــيــر طيار ؟

(يحمل الرجــال الاربع المنهزمون الالة الى الجانب الاخــر مــن الخشبة)

(فى اثناء ذلك ، يثنى الكورس على الطيارين المنهزمين)

الكــورس :

انهضوا ايها الطيارون ، لقد غيرتـم قوانين الارض •
منذ الف سنة ، لم يسقط شيء من اعلى الى
اسفل سوى الطائر ،
الحجارات الموغلة فى القدم
لـم تحمل شهادة لاى انسان
حلـق عـبـر الفضـاء •
ولكنكـم انتم ارتفعتم ،
خـلال نهاية الالف الثانية من عمرنا

(يشير الميكانيكيون الثلاث ، فجأة ، باصبعهم الى الطيـار المنهـزم)

الميكانيكيون الثلاث :

مـا هـذا ؟ انـظـر اذن !

قائـد الكورس يقول بسرعة للكـورس :

انشدوا : « لا يعرف تماما »

الكورس وهو يحيط بالطيار المنهزم :

لا يعـرف تماما
والان ، هذا الوجه
الذى ولـد بينـه وبيننا ، لان
الحاجة التى كانت ا 4منا
والحاجة التى كانت لنا منه
منعـتـه •

قـائـد الكورس :

هـذا الانسان

الــذى يملــك وظيفة

ـ لا اهمية اذا كانت مغتصبة ـ

لقــد اخذ منا ما كان فى حاجة اليه ، ولكنه رفــض

مــا كنــا فى حاجة اليه .

لهــذا اظلم وجهه

مــع وظيفتــه .

ليس لــه الا وجه واحد .

(أربع مغنيين من الكورس يتناقشون بجانبه) :

الاول :

اذا ما كــان بصفته موجودا

الــثــانــى :

كــان مــوجــودا

الاول :

مــن كـــان ؟

الــثــانــى :

لــم يكــن احــدا .

الــثــالــث :

مــاذا كــان يجب لمشاهدتــه ؟

الـــرابع :

نمنحــه وظيفة

المغنــون الاربـــع :

عندمــا ننادى عليه ، نخلقه .

من يستطيع تغييره يمنحه ان يكون كائنا .

من يكـــون فى احتياج اليه يعرفه
مـــن ينتفــع بـــه يعظمه .

الــثـــانـــى :

ومـــع ذلك ، لــم يكن احدا .

الكـــورس مع الجماعة :

هذا المسدول هنا بلا وظيفة
مـــن الان فصاعدا ليس له من الانسان اى شيء .
لتمت انت يـــا من لم تغد ، قط ، انسانا .

الــطـــيـــار المنـــهـــزم :

انـــى لا استطيع ان اموت .

الميكانيكيون الثلاث :

يـــا رجـــل ، ها انـــت ترمى من مجرى الاشيـــاء
يـــا رجـــل ، انـــك لم تكن قط فى التيار
انـــك كبير جدا ، غنى جدا
ومنفـــرد جـــدا
لاجل ذلك لم تستطع ان تموت .

الكـــورس :

لكـــن
مـــن لا يستطيع ان يموت
يـــمـــوت
مـــن لا يستطيع ان يسبح
يـــســـبـــح

— ١٠ —

الـــجـــلاء

الـــكـــورس :

واحـــد من بيننا
يشبهـــنـــا تماما
فى الـــوجـــه ، والجسم ، والتفكير
ملزم بان يفارقنا ، لانـــه فى
هـــذه الليلة ، قد اتسم باشارة
ومنـــذ هـــذا الصباح تعفنت انفاسه .
وجسمه قد تفسخ ، ومحياه الذى
كـــا نالفه من قبل
أصبـــح غريبا عـــنـــا .
أيها الانسان ، كلمنا ، نحن ننتظر
رنـــة صوتـــك فى مكانهـــا المعتادة ! تكلم !
انـــه لا يتكلم ، لقـــد ضاع
صوتـــه . لا ترتعش ايها الانسان
ذلك لانه يلزمك ان تذهب الان
اذهـــب سريعـــا !
ولا تنظـــر الى الوراء ، اذهب
بـــعـــيـــدا عنا .

(المغنى الذى يقوم بدور الطيار المنهزم يغادر الخشبة)

– ١١ –

الاتفاق

الكورس يتجه الى الميكانيكيين الثلاثة المنهزمين :

انـــتم، الذين كنتم على اتفاق مع مجرى الامور
لا تعودوا الى العـــدم .
ولا تذوبوا كالملح فى الماء ، لكن على العكس
ارفعـــوا الراس
مـــوتـــوا ميتتـــكـــم
كمـــا صنعتم عملكم ،
اتممـــوا الثـــورة
اذن ، فى ساعة الموت
لا تتصورون الموت .
تقبلوا المهمة التى انطناها بكم :
اعيـــدوا صنع طائرتكم
استعـــدوا للعمـــل !
لـــكـــى تطيروا من اجلنـــا
فى المكان الذى نحتاجكم فيه .
وفى الوقـــت الضرورى
لانـــكـــم
مدعـــوون للسيـــر معـــنـــا ، اننا
سوف لا نغير قانونا من قوانين الارض فقط
ولكـــن سنغير القانون الاساسى ،

نحـــن متفقــــون على انه يجب تغيير كل شيء ،

العالم والانسانية .

وقبل كل شيء لا نظـــام

طبقـات الانسان ، ذلك لان الانسانية منقسمة

الى شيئين :

استغـــلال وجـــهـــل .

الميكانيكيون المنهزمون :

نحـــن متفقون على تغيير الاشياء

الـــكـــورس :

ونطلب منكـــم

تغيير محركنا ، وتحسينه ،

وكـــذا زيادة الامان والسرعة .

وان السرعة دائما مضللة

الميكانيكيـــون المنهزمون :

يلزم الا تنسوا هدف سباقكم .

الـــكـــورس :

سنعمل على تحسين المحركات والامان والسرعة .

الـــكـــورس :

اتركـــوهـــم !

قـــائـــد الكـــورس :

الى الامـــــام !

الـــكـــورس :

لمـــا تحســـنـــوا العالم

اصلحوا هذا العالم المحسن ،

واتـــركـــوه !

قـــائـــد الكـــورس :

الـــى الامـــام !

الـــكـــورس :

عند تحسين العالم ستتممون الحقيقة ،

اكملـــوا هذه الحقيقة المتممة .

واتـــركـــوهـــا .

قـــائـــد الكـــورس :

الـــى الامـــام !

الـــكـــورس :

عند تتميم الحقيقة ستغيرون الانسانية

غيروا هذه الانسانية المغيرة

واتـــركـــوها .

الـــى الامـــام !

الـــكـــورس :

وعنـــد تغيير العالم ، غيروا انفسكم

واعلمـــوا انكم ستتركونها .

قـــائـــد الكـــورس :

الـــى الامـــام !

ــ انتهـــــت ــ

ترجمة : م.ب

لـن يسـتلين..!

الشاعر : حسن محمد الطريق

سيظل ميدانا (١) مدى التاريخ يحتل القلوبا
سيلفنا ... سيلمنا ... سيوحد الوطن الحبيبا
وبه سننسخ ليلنا ونكفكف الدمع الصبيبا
عار اذا انطفأ الحماس وظل موطننا سليبا !
ومدينتان (٢) قريرتان يظل أمرهما عجيبا !
وتنوء بالخير (الكروم) وغيرنا يملأ الجيوبا !
من هذه الظلمات سوف يلوح كوكبنا قريبا
شعب يصيح ويستغيث، ولا مغيثا ، ولا مجيبا !
قد بان وجهه كالحا كالليل جهاما قطوبا
هي صرخة خرسا ستعقب ذاكم الصمت الرهيبا
ومعارك سيخوضها وبباله ان لا يؤوبا
ويلوح فجره بعدها في الافق وهاجا رحيبا
لن يغفر المظلوم للطاغي ، ولن ينسى الذنوبا
لن يستلين ، فلا سماح ، ولا مجير ، ولا منيبا !

---

١) التحـــرر
٢) سـبتة ومليلية

العلم والايديولوجية (1)

بقلم الدكتور ميشيل ماركوفيتش

ترجمة الاستاذ احمد السطاتي

تجرى فى بلدنا فى المدة الاخيرة ، وخارج حدود بلادنا ، مناقشة حادة بين الماركسيين حول تحديد مفهومى ، **العلم** ، **والايديولوجية** ، وتمييز اللحظة العلمية من اللحظة الايديولوجية فى المذهب الماركسى.

ولا تخلو المشكلة من اهمية عامة ، قد تتجاوز حدود الاختلاف بين انصار مذهب واحد .لقد حقق العلم تقدما على الاقل فى العالم المتحضر مكنه من تحديد العلاقة بين الانسان والطبيعة . بالعلم تحرر الانسان من عبودية القوى الطبيعية ، واستطاع بالعلم الى حد كبير ان يمتلك ناصية هذه القوى ويسود عليها ، بيد ان علاقة الانسان بالمجتمع اضحت تخضع بصفة خاصة للايديولوجيا ، ويمكن ان تقول بان عصرنا اليوم عصر الاختلافات والصراعات الايديولوجيات اكثر من اى عصر سابق .

ومن هنا ، تبرز مشكلة ، تكمن كلها فى خلق انسجام وتوافق بين العلم والايديولوجيا .

---

1) من المجلة اليوغسلافية الفصلية :
Les problèmes actuels du socialisme.

من الواجب ان يصبح العلم اداة مسخرة فى يد انسان يستمد وحيه من ايديولوجية انسانية ، ومن الواجب كذلك ان تقوم الايديولوجيا الانسانية ذات الطابع التقدمى على العلم وتعتمد عليه ، هذا اذا كنا نرغب حقا فى ان يسود الانسان على الطبيعة سيادة كبيرة ، ويتحرر ذات يوم من عبودية قوى المجتمع العمياء . ويحز فى نفوسنا ما نلاحظه من استغلال قوى للعلم ، وللمقاصد اللانسانية، وما نراه من سورات ايديولوجية محمومة لا تقوم على اى اساس من المعرفة العلمية للعلائق الواقعية ، ولا لاتجاهات التطور فى المجتمع الحديث .

التباس المفاهيم :

ان عدم التحديد الدقيق لمفهوم العلم ، ومفهوم الايديولوجيا بصفة خاصة يقف حجر عثرة امام خلق انسجام وتوافق بين هذين الشكلين من اشكال المعرفة الاجتماعية ، ولعل احد الاسباب المباشرة لكثير من الغموض الذى يسود العالم الحديث يكمن فى عدم التحديد الدقيق للالفاظ ، وفى تعدد الدلالات للكلمات التى تروج كثيرا فى الجدل السياسى والفلسفى ، وتدخل فى الدعاية الايديولوجية . ومن البديهى ان تكون لهذا الالتباس جذور عميقة ضاربة فى اختلاف التجارب ، والافكار المبيتة ، والتقاليد ، سيما فى اختلاف المصالح بين الطبقات الاجتماعية . على ان هذا الالتباس اللفظى والتصورى كثيرا ما نلجا اليه عن قصد وبنية قهر الخصم الايديولوجى ، واظهار افكاره فى زى عابث ، اذ نلبس الفاظ خصمنا معان مخالفة ، ونعمد الى احداث تغيير فى افكاره ليصبح من الميسور علينا رفضها فيما بعد .

كثيرة هى الامثلة التى يمكن ايرادها عن عدم وضوح مفهومى العلم والايديولوجيا وضوحا كافيا ، الم يختلف العلماء انفسهم حول تقرير الصبغة العلمية لمؤلف ما ، فالذين ينزعون منزعا وضعيا يبعدون عن دائرة العلم كل وصف لا يتسم بالدقة للحوادث، ولتجاربنا المباشرة ، بل يذهب البعض منهم الى ان كل توكيد واثبات لا يخضع لتحقيق تجريبى شخصى ضرب من العبث ، وبالمقابل هناك طائفة اخرى من العلماء ترى ان الالفاظ السياسية اليومية وكل وصف لرؤى المستقبل البعيد ، ومعايير النشاط العلمى ، والتاملات النظرية المجردة حول العالم ، ومعنى الحياة ، لها صبغتها العلمية ، كما ان المؤسسات التى تزكى اطروحات الدكتوراة ،وتحكم على بعض الاثار بالعلمية ، وتقوم بتعريف المهن العلمية تجعلنا نتساءل عن طبيعة الاعمال التى يمكن ان تدخل فى دائرة العلم ، وعن الحدود الفاصلة بين النشاط العلمى من جهة والروتين والدعاية الايديولوجية وكل تركيب تعسفى لرموز منطقية او رياضية من جهة اخرى .

اما فيما يرجع الى مفهوم الايديولوجيا فان الابهام كثيرا جدا ، والدلالة السائدة لهذا المفهوم هى كونه عبارة من « جملة افكار لحركة اجتماعية » ، وتبعا لهذا المعنى يمكن ان ينسحب المفهوم على الماركسية والنزعة العمالية ، والعرقية ، والاشتراكية القومية ، والتحررية .

اما فى الادب المركسى ، فثمة دلالة واسعة الانتشار لهذه الكلمة ، اذ يقال غالبا بان اشكال الوعى الخاصة لهيئة اجتماعية (من سياسة وخلق ودين) اشكال ايديولوجية تؤلف فى مجموعها البنية الفوقية للاساس الاقتصادى الذى يقوم عليه مجتمع ما فى عصر من العصور .»

ثمة فرق — ولا نقول تضاربا — بين هذه الدلالة وتلك التــــى كان ماركس وانجلز يلبسانها لهذه الكلمة فى الاثار التى اصدراهـــا خلال فترة شبابهما ، لا سيما فى كـتاب (**الايديولوجيا الالمانيــة**) . الايديولوجيا فى نظرهما وعي اجتماعى تغلفه روح الطبقة ، وتنعكــس فى ظله قيم الشرف وعلائقها انعكاسا ناقصا ، مقلوبا ، وكاذبا . اذ لم يكن ماركس ولا انجلز يعتبران مذهبهما ايديولوجيا ، بل علما ، ولــذا اطلقا عليه (الاشتراكية العلمية) .

من الماركسيين اليوم من يسعون جاهدين للاحتفاظ بهذا الشرح البدائى الذى فسر به ماركس معنى الايديولوجيا ، وقد استندوا الــى هذا المعنى فى انتقادهم لما اصاب الماركسية الراهنة من تشويه، وذلك حرصا منهم على الاحتفاظ للمذهب بطابعه العلمى، وحذف العناصــر الايديولوجية منه ، بيد انهم يصطدمون بمقاومة عنيفة من اولئك الذين يتصورون الماركسية أيديولوجيا فى الدرجة الاولى ، ايديولوجيا تضــع اهدافها السياسية فوق كل اهداف اخرى ، خلقية كانت او سياسية، بل ولو كانت اقتصادية ، فالحزب هو الحكم الاعلى الذى يحتكـــم اليه فى جميع القضايا (اجتماعية كانت او فلسفية او فنية) ، والخطة التوجيهية للحزب هى المعيار الدقيق لجميع القيم (سواء كانت تتصل بالحقيقة او التقدم او الجمال الفنى) .

ولن نطمئن لغلو هؤلاء ولا لغلو اولئك ، فنحن نطلق اســـم (التعديليين) Révisionistes على الذين يعتبرون الماركسيـــة مجرد ايديولوجيا ، ويبدو اليوم واضحا ، لا سيما بعد مرور ما يزيــد على قرن من الزمان على كتاب — **الايديولوجيا الالمانية** — ان الماركسية

اضحت بدورها ايديولوجيا ان لم تكن اكثر ، فهى ايديولوجيا فى جدتها ، وفى علاقتها الحية بالواقع . ان الوعى الذى لا يقنع بالملاحظة البسيطة للحوادث ولا بالتقديرات المحايدة الباردة (المبنية فقط على معرفة القوانين الموضوعية للتطور) وانما يتطلع الى الاشياء ، ويختار من بين الممكنات المعروضة عليه افضلها واكثرها ملاءمة ، لا يمكن ان تقول انه فقط وعى علمى جاف او عقلى محض ، بل وعى ارادى ، محرك ، ومقوم .. وهو بالتالى وعى ايديولوجى .

ويميز نقاد الايديولوجيا فى تحرياتهم بين نوعين من الايديولوجيا : الايديولوجيا الثورية والايديولوجيا الرجعية ، وهنا تكمن الصعوبة ، اذ كيف يمكن للايديولوجيا أن تكون ثورية اذا كانت انعكاسا ناقصا ومقلوبا للواقع ؟ اننا لن نقوى على قهر قوى المجتمع العمياء ما دمنا نعتمد على الاخطاء وما دامت الاوهام تمسك بتلابيبنا .

كما اننا لن نطمئن الاطمئنان كله الى التاويل الذى يعتبر الماركسية مذهبا ايديولوجيا ، لانه يؤدى بنا عمليا الى اهمال فظيع للاساس العلمى الذى يقوم عليه المذهب الماركسى ، اذ كيف يمكن الاستغناء عن تهيىء الافكار للحركة العمالية ، والتخلى عن اعداد البرامج لاحزابها اعدادا يقوم على التحليل العلمى الموضوعى للحالة الراهنة ، وعلى اعتبار اتجاهات القوانين الموضوعية للتطور ، وللاكتفاء فقط بالبرامج والافكار التى يفرضها القادة وتفرضها التجمعات الحزبية فرضا تعسفيا تسقط فيه من حسابها كثيرا من الحوادث التقنية والاقتصادية والسوسيولوجية والسيكولوجية . اننا اذا كنا نريد

ان نفرض على العلوم الاجتماعية (وعلى الفن) اطرا نظرية ، فـــان النتيجة المنتظرة هى ركود هذه العلوم كما فى بعض البلاد التى تتبنـــى الاشتـــراكيـــة .

ولا شك ان الماركسية التى يتصورها البعض على هذا النمـــط تشكو من نفس الاخطاء التى انتقدها ماركس فى مهده عندما تعـــرض للايديولوجيا البورجوازية ، فالايديولوجيا بهذا المفهوم ولو زعمست بانها علمية تظل فى حقيقة امرها وعيا خاصا لطائفة اجتماعية ضيقة ، ولعلاقتها بالمجتمع ، اى وعيا محدودا وناقصا وكاذبا .

هذه التحولات فى معنى كلمة ايديولوجية ومضامينهـــا لـــــدى مختلف الاوساط الاجتماعية تجعل من العسير ان نتبين الاشياء بوضوح وتدعنا عرضة فى مناقشاتنا لمواقف شتى ، فهل ينبغى اذن ان نخلص الماركسية من كل عنصر ايديولوجى ؟ وهل من الضرورى ان نتجـــاوز النزعتين : العلمية ، والتعديلية ؟ ام هل نكتفى فقط بتوكيد الطابـــع العلمـــى ؟

للخروج من غمرة هذه القضايا بتصور منطقى لا بد فى رايـــــى من تحديد وتحليل مفهومين كبيرين هما : (العلم)، و (الايديولوجيا).

— يتبـــع —

الربـــاط : احمد السطاتى

المسيح الجديد

للشاعر محمد على الهوارى

كان المسيح يدعو للحب والسلام ..
ولكن مسيح بلادى ، يخلق الانسان
انسانا جديدا .. بين اثنى عشر
مليون مسيح !

بالامس فى ارض يقبلها الاله
فى كل صبح ، فى حنان
ولد المسيح
يدعو الى نشر السلام
للحب ، للانسان ، يحيا انسان
ولد المسيح
فى بيت انسان

• • •

بالامس فى ارض يباركها الاله
وبهادمى لما يزل احمر

باسم المحبة والسلام
والحق والانسان والله
صلب المسيح بلا صلاه
وبــلا دموع
نظراته مشنوقــة الاه :
الاه تشنقها المحبة والسلام .
الا دموع انســـان
يهوى المسيح لانه انســـــان
يهوى المسيح لانه الحب الكبير
فى قلب انسان كبير
حتى الصليب يحبه ..

. . .

بالامس قال لى الصديق
«...مات المسيح أيا رفيق
بالامس مات لهم مسيح...» .

. . .

عاد المسيح بلا صليب
لا ، لا يجر وراءه ثقل الصليب
من اجل انسان
عاد المسيح هنا ، وعاد ...
من خلفه اثنا عشـــر
مليون مصلوب

١

اثنـــــا عشر
مليون انسان مسيح
لا ، لم يدقوا كفيه مسمارا رهيب
بل قطعوا يده ، رموها فى اللهيب

• • •

مات المسيح ايا صديق
مات المسيح لانه كان ...
يحيا لكى يحيا الانسان ، انسان
وهنـــــا المسيح
هنا انســــــان
دومــــــا انسان
واراد احفاد القدامى
من الرومــــــان
ان لا يكون هنا .. هنا
انســـــــان !!

رؤوس الآخرين

المرسيل ايمى

عرض وتلخيص : الاستاذ احمد اليابورى

ا) ــ الاطار العام

١) الاشخـــــاص

مـــايـــار : مدعى عام ، يبلغ من العمر ٣٨ سنة
جولييــت : زوجةمايار ، ٣٠ سنة
برتــوليى : مدعى عام ، ٥٥ عاما
رويـــــرت : زوجة بيرتوليى ، ٣٠ سنة
فـــالـــوران : المغنى المحكوم عليه بالاعدام ، ٣٥ سنة
اسكندرو فيسى :شخصية ذات نفوذ عظيم ، ٤٠ سنة

٢) ــ المكان : تجرى احداث المسرحية فى بولداق ، ويتغير الحيز المكانى الخاص فى الفصول الاربعة كما يلى :

الفصل الاول : صالون بمنزل المدعى العام مايار
الفصل الثانى : نفس المنظر
الفصل الثالث : مطبخ كبير بمزل الدعى العام برتوليى
الفصل الرابع : مكتب استقبال بمكتب الكسندرو فيسى .

٣) الزمـــان : التاريـــخ المعاصر

ب) العرض التفصيلى

الفصل الاول :

تنتظر زوجة مايار مع بعض معارفها قدوم زوجها المدعى العام الذى تأخر كثيرا لانهماكه فى محاكمة شخص اسمه فالوران ، متهم بقتل عجوز من اجل سرقة نقودها ، وقد كانت العائلة على احر من الجمر ، تنتظر نتيجة الحكم ، فالاطفال اصيبوا بالارق ، والام مضطربة حائرة ، كان الامر يتعلق بمصير امر عزيز لديهم ، والواقع انهم اعتادوا ان يغتبطوا لانتصار مايار ، خاصة اذا كانت القضية تتعلق بقطف راس من الرؤوس البشرية .

ولا يفتأ المدعى العام مايار ان يباغتهم ، ويخبرهم وهو فى اوج فرحه ، بنجاحه الكبير قائلا : « نعم لقد مرت الامور على احسن ما يرام ، لاننى تمكنت من ادانة المتهم » ، فيتدخل لويس ، وهو من اصدقاء العائلة، مستفسرا : « حقا ؟ هل الاشغال الشاقة المؤبدة ؟ » فيجيبه : « ابدا ، لقد حكم عليه .. بالاعدام » فترتمى جولييت بين ذراعى زوجها صائحة : « عزيزى ، عزيزى ، ما اعظم سعادتى !» فيتدخل لويس : «ثق باننى لم اكن انتظر حكم الاعدام » فيرد عليه المدعى العام مايار : « انا ايضا لم اكن انتظره ، ان القضية تتعلق حقا بجريمة بشعة .. لكن الحجة القانونية المادية كانت تعوزنا ، وكم مرة حسبت ان راس المتهم افلت من بين اصابعى ، لكن كنت دائما ارجعه الى الحظيرة .. فيجيب لويس متهكما : « حظيرة العدالة » ، وترتفع القهقهة الساخرة من جميع الانحاء .

وفى المشهد الرابع يزور المدعى العام برتوليى العائلة ليقـــدم تهانئه لزميله ، وبعد ذلك يستدعى الحاضرين لمصاحبته الى منزلـه ليشربوا جميعا نخب المنتصر ، ويغادر الجميع المنزل ويبقى مايـــار للقيام ببعض الاعمال المستعجلة فى انتظار الالتحاق بهم فى ظرف عشرين دقيقـــة .

وما يكاد الحاضرون يخرجون حتى تطرق الباب روبرت زوجـة المدعى العام برتوليى ، وتدخل وقد ابدت مفاتن جسمها ، فتهنئه وتسأله وتلح فى السؤال ثم تخاطبه قائلة : « انظر، انك لم تقل لى شيئا عمـا اريد معرفته ، لقد اتيت الى منزلك لاحس فوق جلدى فوق لحمـى ، حرارة المنتصر ، ولكنك لا تتكلم يا مايار ، ايها المدعى العام ، يا مدعى الرؤوس ، قص على ،قص على .. »

وتستمر روبرت فى طرح الاسئلة الدقيقة حول الحالة التى كـان عليها فالوران خلال الجلسة الاخيرة من المحاكمة ، مما يدل على اهتمام خاص بالمتهم ، وبعد ذلك يضمها مايار بين ذراعيه ، وفجأة يدخـل عليهما فالوران ، المحكوم عليه بالاعدام ، فيندهشان ، فيهددهمـا بالمسدس الذى يحمله، ويخبرهما بعد ذلك بأن سيارة السجن التـى كانت تحمله اصطدمت بشاحنة ، فلم يسلم الا هو ، فلاذ بـالفرار ، ووجد سيارة واقفة فى مكان خال فاختفى فى الصندوق المـوجـود فى مؤخرتها وعند قدوم صاحبها قادها الى ان وصل الى مسكنه ، ونزل فاذا به المدعى العام مايار ، اذ ذاك انفلت فالوران من الصندوق فرأى مسدسا بالسيارة فتناوله ، وتسلل الى الحديقة وبقى فيها ينصت الى اصداء الفرحة الكبرى التى عمت العائلة .

ويشتد عجب فالوران عندما يرى روبرت ، التى تقضى معها تلك الليلة التى قتلت فيها العجوز ، ويصرح بذلك لمايار ، فيشك ، لكن التفاصيل الدقيقة التى ادلى بها عن بعض صفات جسم روبرت، جعلت المدعى العام من ان خليلته باغية ، وقد اعترفت بعدئذ « بأنها قضت معه الليلة المذكورة فى نزل معروف عندما كان زوجها مسافرا فى مهمة قضائية . وبعد نقاش طويل تم الاتفاق على ان يبقى فالوران بمنزل مايار الى ان يعثر على حيلة قانونية تمكنه من انقاذ المغنى البرىء .

وتقترح روبرت بعد ذهاب فالوران الى حجرة الضيوف على مايار ان يكلم الشرطة لتلقى القبض على المتهم من جديد ، فيعترض لما يمكن ان يثيره ذلك من صعوبات مادية وقانونية ، ومن فضائح اخلاقية لهما معا ، وتقترح بعد ذلك ان تغتاله ، فيعارض ، ويطلب منها ان تلحق بمنزلها وتبعث زوجها برتوليى ليتناقش معه فى القضية بكل صراحة .

وفى المشهد الحادى عشر يجرى الحوار التالى بين مايار وفالوران وهما فى انتظار برتوليى : .

« فالوران : هل سبق لك ان قضيت مدة فى السجن ؟

مايار : لماذا اقضى مدة فى السجن ؟

فالوران : لست ادرى ، وعلى كل حال فانه يبدو لى ان الاشخاص المكلفين بالحكم على الاخرين يجب ان يقضوا فترة تدريب تستغرق شهرين او ثلاثة اشهر فى السجن .. وبدون ذلك فانهم لا يعرفون بماذا يحكمون على المتهمين .. وبهذه

المناسبة ، هل تشعر حقا بالغبطة عندما تنجح في ارسال شخص الى المشنقة ؟

مايار : لماذا تتحدث عن الغبطة ؟ لست مريضا بتعذيب الاخرين ، انى اقوم بواجبى قدر امكانى ، وعندما انجح اكون سعيدا ، هذا كل ما هناك .

فالوران : وعندما يكون امامك محام ضعيف

مايار : حقيقة ان مهمتى تصبح اذذاك سهلة جدا .

فالوران : يعنى اذا كنت انصح منه، فانك تتمكن من ادانة المتهم ولو لم تتوفر على حجج قانونية مادية ، كما كان الامر مساء اليوم .

مايار : استطيع ان اؤكد ان محاميك كان اضعف منى

فالوران : وهكذا فان حياة المتهم وموته يتوقفان على قدرة الخطيبين ، وكل شىء يجرى فى النهاية كأن المسالة تتعلق بلعبة شطرنج لا اقل ولا اكثر ، والماهرمن اللاعبين هو الذى ينتصر.

مايار : حقا، ان القضية تجرى على الشكل الذى ذكرت»

وبعد هذا الحديث يدخل المدعى العام برتوليى ، فيقدم له مايار المتهم فالوران ، فيندهش ، لكنه يخبره بالحقيقة التى تتلخص فى فرار فالوران ، وقصة علاقاته مع روبرت ، وفى مشكلة براءته ، ويتفق المدعيان العامان فى الاخير ، وبعد مشادة عنيفة ، على ان يبحثا عن المجرم الحقيقى ، ويشرح برتوليى وجهة نظره لفالوران قائلا : « بما انك برىء، فان شخصا آخر قد ارتكب جريمة القتل ، والواجب يقتضى

العثور على هذا المجرم، وهذا ما سنشرع فى القيام به ، وعندما يتم العثور عليه ستصبح حرا بريئا . . فيجيب فالوران : « انه شىء جميل، ولكن متى ستعثران على المجرم ، وقد لا تعثران عليه ؟» فيعترض برتوليي : « انصت ، عندما تكون العدالة بحاجة الى مجرم ، من اجل مصلحة عليا ، فانها تجده دائما ، اليس كذلك يا مايار ؟»

وقد كانت غاية المدعيين العامين هى الا تثار فضيحة اخلاقية وقانونية ، فزوجة برتوليي خليلة فالوران ومايار ، والتراجع فى الحكم الصادر محرم للعدالة ، فالموقف معقد ، وقد بلغ التازم اقصى درجاته ، دون أن يظهر حل نهائى واضح فى الافق .

الفصل الثانى

تتعرف جولييت ، زوجة المدعى العام مايار ، على فالوران فى منزلها ، وتغرم به ، وتعرض عليه جسمها ، وتباغتهما برتوليي وزوجته متعانقين ، وينفضح كل شىء ، ويتبين المدعيين العامين انهما مخدوعان ، لكن لا مناص من الصبر ، لان الهوة فاغرة فاها تحت اقدامهما .

الفصل الثالث

تتصل رويت ، زوجة المدعى العام برتوليي، بشخصين هما كوران ولامبورد ، المنتميان لعصابة الكسندرو فيسى ، وهو من الشخصيات السياسية البارزة التى اثرت فى عهد الاحتلال النازى ، وتقدم لهما مقدارا ماليا ضخما مقابل لتصفية فالوران الذى كانت تنتظر

قدومه ؛ واثناء الحديث يسمع وقع اقدام ، فتؤكد لهما بانه الشخص المعنى ، وتنسحب وفى الحال يدخل مايار ، فيحيطان به ، ويشبعانه لكما ورفسا ، ظانين انه فالوران ، وبعد ذلك اوثقاه ، واخرج كل منهما مسدسه وشرعا يتحدثان، وهو ممتد امامهما ، حول الطريقة التى يستحسن بها قتله ، فيخاطبهما مستعطفا : « على كل حال فانكما لن تقتلانى » فيجيب لومباردو : « بلى! يجب ذلك ، حقيقة ان القتل يؤلمنا، لاننا لسنا متوحشين، فتصفية برآء هذه الطريقة كان ممكنا فى عهد الجيستابو ، اما الان . . اننا نتالم ، اليس كذلك يا كوران ؟» فيوضح : « طبعا ، لان ضميرنا يحتج » ويستمر الحوار على الشكل التالى :

لومباردو : « ما العمل؟ ، هل نطلق عليه رصاصة ام نخنقه؟

كوران : انا ايضا افضل ذلك ، لكن الخنق انظف .

مايار : ارجوكم استعطفكم ، انصتوا لى .

لومباردو : تفضل

مايار : اطلب منكم بالحاح ان تفكروا فى مصيرى . . ان تنظروا بعين الاعتبار الى هذه الحياة التى تريد ان تستمر ، هذه الحياة الشبيهة بحياتكم ؛ هذه الحياةالتى يصيبها الهلع عندما تنظر الى الفراغ الهائل الممتد تحتها . . ارجوكم ، هل يمكن ان يقتل الانسان اخاه الانسان دون ان يتنكر لذاته دون ان يحكم على نفسه ، لا توجد اية سلطة لها الحق فى التصرف فى حياة الانسان ، لان كل حياة خاصة ، تعتبر المنطلق والنهاية ، لكل ما

يوجد فى هذا العالم ، انظروا الى خوفى ، الـــى ياسى، اعطفوا على ، ارحمونى ..

كـــوران : (يتناول منديلا ويشرع فى مسح عينيه) لقد اثار عبراتى ، والله .. اننى افضل ان أنهب دماغه حـــالا .

وفى المشهد الرابع يدخل فالوران ، فتفر روبرت بمجرد رؤيتـــه الى المكان الذى يوجد فيه الشخصان ، وتنـــقـــذ مايار ، وتشير الى عدوها فالوران ، فيجريان وراءه ، ويدخلانه بالقوة فيؤكد لهما انـــه مستعد للموت ، ويستمران فى الحديث الى ان يتطرقا الى قضية قتـــل العجوز ، فيخبرانه بان قاتلها الحقيقى هو جوستاف دو جاردان وهـــو ايضا من عصابة الكسندرو فيسى ، وينتقلان من ذلك الى الحديث عن التعليم . فيشتد النقاش من بين كوران ولومباردو، فيضمان مسدسيهما ويشرعان فى الملاكمة ، فيتناول فالوران المسدســـيـــن ، ويســـجـــن الشخصين فى صندوق كبير ، ويجلس منتظرا ، وعندما تقدم روبيرت، يتماوت فتبكى ، ثم ينتصب واقفا ويهددها ، فتستعطف ، ولا يمضـــى الا وقت وجيز حتى تصل جولييت ومايار وبرتوليـــى الى المـــنـــزل ، ويطلعون على الحقيقة . واثناء ذلكيثير فالوران قضية المجرم الحقيقى، ويؤكد بانه يحمل اسم كوستاف دو جاردان ، وانه فى حماية الكسندرو فيسى ، فيعترض برتوليى مؤكدا بانه القى القبض على لوزو ، وقـــد اعترف بانه هو القاتل ، واوضح بانه ليس من المصلحة العليا ان تثار القضية من جديد . لكنفالوران بقى متشبثا بموقفه ، ولذلك اتفـــق الجميع على التوجه الى مكتب الكسندرو فيسى للتحادث مـــعـــه فى الموضوع .

الفصـــل الرابع

بعد انتظار طويل يتقدم الكسندرو فيسى ، وهو يردد مجيبا بعض الاشخاص الذين كان يتحادث معهم : « لا ، لا، هل سمعتم ، عندما افكر فيما قدمت لكم من خدمات ، يا حقراء، وجعلت منكم بعد ان لـــــم تكونوا شيئا، وزراء ، ورؤساء دواوين ، وعمالا ومديرين وكتابـــــا عامين .. لكنكم لا تقتنعون ، فالعامل يريد ان يصبح سفيرا ، والكاتب العام عاملا .. اذا ما تماديتم ، فاننى سافرج عن جميع المعتقلين » وتسمع من بعيد اصوات الاستعطافات والاستجداء .

وعندما يدخل على الجماعة يطلب منه فالوران بعــد مقدمـــات طويلة ، ان يسلم دوجاردان للعدالة ، فيجيبه : « لو طلبت منــى ان أعينك سفيرا لفعلت ، اما دوجاردان ، فانى اهيئه ايحتل منصبا كبيرا ويتزوج بنت شخصية سياسية كبيرة ، واذذاك تصبح العائلة كلهــا تحت قبضتى ، لان ملف دوجاردان بين يدى دائما .. ان سياستـــى ترتكز على نشر التعفن داخل اجهزة الدولة لاتمكن من القبض عليهـــا بيد من حديد » .

وفى تلك اللحظة تخبره كاتبته بان دوجاردان لم يحمل الملف الذى سلمته اياه وزارة الدفاع ، ويتبين بعد البحث انه اعاره لشخصيـــة سياسية مقابل اجر بسيط ، فيغتاظ الكسندرو فيسى ويامر بالقـــاء القبض عليه بتهمة قتل العجوز .

وفى المشهد العاشر من نفس الفصل تلتقى روبرت بفالــــوران وترجوه ان يسامحها عما فرط منها ، وتؤكد له صدق حبها له ، وترتمى

فى احضانه ، فتفاجئهما جولييت وتتألم وتخرج فى اسوا حالة ، وتستغل روبرت هذه الفرصة لتستخلص العبرة مما حدث وتؤكد اماشقها بأن الظلم متأصل فى الانسان ؛ ولولا ذلك لما حرمت جولييت حب فالوران ، وظفرت به هى الخائنة الخادعة ، فيرد عليها بأنه لا يحلم الا بالعدل ، فتمترض وقد أرتمت بين ذراعيه « ما الذى تحبه أكثر ، وتشتهيه اكثر ، العدالة ، ام أنا ؟» فيصفعها ، فترد بصوت متكسر : « أوه ! » فيتراجع ويخاطبها : « روبرت ، عفوا ، اننى احبك » ويضمها اليه ويرسم قبلة على شفتيها .

ج) المدلول العام

يتناول مارسيل ايمى فى مسرحيته هذه ادق المشاكل التى يعانى منها العصر الحديث ، وهى انتهاك رجال القضاء لقدسية العدالة وحرمتها باسم القانون . فلا حق، فى الواقع، الا للقوة ، مادية كانت أو معنوية : مسدسا او ثورة ، او ابتسامة ساحرة اما الحق للحق ، فهو طيف يراود خيال المريض بداء المثالية .

والعدالة هى الوتر الحساس فى كيان الدولة ، اذا ما اصيبت ، اهتزت جميع المجالات الاخرى ، فى اضطراب وقلق ، وفساد العدالة ، مصدره فساد السياسة ، وانهيار الضمير الاخلاقى .

والشخصيات التى يقوم على اكتافها الفساد والمسرحية هى الكسندرو فيسى ومايار ، وبرتوليى ، وجولييت ، وروبرت .

وتنتهى المسرحية بقبلة تعتبر رمزا لاستسلام البطل الذى يمثل البراءة والصفاء والصراحة والشجاعة ، وهو فالوران ، لقد افلتت

من الاعدام المادى ، من المشنقة ليتعرض لاعدام معنوى نهائى بين احضان زوجة المدعى العام برتوليى .

وقد حاولت هذه المرأة ان تتخلص منه بشتى الوسائل ، فاقترحت تقديمه للعدالة من جديد ، او اغتياله ، وحاولت ذلك بدون جدوى بنفسها ، وبواسطة كوران ولامبورد . وعندما اعيتها جميع الوسائل المادية لجأت الى سحر جمالها ، فكان لابتسامتها تاثير اقوى من فصاحة المدعى العام مايار .

وهذا كله يوضح ان مارسيل ايمى ، متشائم من قضية العدالة الانسانية وذلك لان التجاوز الطبقى ، والتداخل البشرى يجعل الحاكمين المسيطرين فى وضع يساعدهم على اذابة فعالية الثائرين بمغريات متنوعة .

عنصر الصدفة

حقيقة ان الحياة مليئة بالمفاجئات ، لكن التقلبات المباغتة فى عمل مسرحى او قصصى تبدو غريبة عن منطق الواقع ، ومسرحية مارسيل ايمى مليئة بهذه المفاجآت التى لا نجد لها سندا فيما يجرى من احداث، ففالوران ، مثلا ، ينجو بعد حادث اصطدام ، ويوجد بمنزل المدعى العام مايار بمجرد صدفة ، ويعثر على المسدس وهو فى حالة هلع ، ويفلت من يد كوران ولا مبورد بمعجزة ... كل هذا يجعل المسرحية مذبذبة مرتبكة ، من حيث ترابط اجزائها ، ترابطا ان لم يخضع لمقياس المنطق ، فلا امل من ان يخضع لمنطق الحياة ، والحياة ليست كلها مفاجآت سارة ، بل كثيرا ما تباغتنا بالمآساوى المتجع .

عنصـــر السخريـــة

تتجلى مهارة مارسيل ايمي فى قدرته على السخرية من رجـال القضاء ، بجميع الوسائل ، فهو تارة يستعمل الكلمة اللاذعة ، ويرسل اخرى التهمة القاتلة ، ويصور فى حالة ثالثة مواقف مزرية تثير الضحك .

وهو يعتمد فى ذلك على «التناقض فى المواقف» ، فمايار ، المدعى العام ، الفصيح ، يبدو فى الفصل الاول لامعا ، مسيطرا ، قويا بالقانون الذى يحسن تسخيره لمصالحه ، وهو فى الفصل الثالث ، عندما اصبح مهددا بالموت ، فقد كل رباطة جاشه واخذ يتضرع ويبكى كالثكلى .

هاتان الصورتان المتقابلتان لرجل القضاء تجعلنا لانتمالك من الضحك ، وتثير فينا احتقار المظاهر الخداعة التى تنطوى على الخوف والكذب ، والانانية .

ولم يكتف مارسيل ايمى باللجوء الى عملية اذكاء الشرارة عن طريق ربط المتناقضات بل رسم لنا مشاهد رائعة عن هذه الشخصيات « الرزينة ، الذكية ، العفيفة !» التى لا تفتأ تنهار ، وتتدرج الى السباب والضرب واللكم ، ويبدو ذلك جليا فى الخصومة التى وقعت بين المدعيين العامين برتوليى ، ومايار فى الفصل الثانى .

عمليـــة التضخم

من حق الكاتب القصصى او المسرحى ان يلجا الى اعطـــاء صور مكبرة عن بعض العيوب او الفضائل التى يريد ابرازها ، لكـن فى حدود المعقول بمعناه العام ، وهذا ما لا يتوفر فى مسرحية مارسيل

ايمى ، الذى يبالغ فى استخدام هذا الاسلوب ، تبدت اللوحات التـــى قدمها ، والشخصيات التى رسمها كمجموعة دمى مصنوعة من قـــش أو خشب ، لا كائنات حية ، لها ذوا تمستقلة ، وخطوط نفسية معينة، وظروف مجتمعية معلومة .

ففالوران، مثلا، يمكنه ان يحسن الغناء ويتقن فن اغراء النساء أما ان يصبح فوق هذا كله «المصلح» السياسى الاجتماعى المدافـــع عن العدل والحق والانسانية ، ويغامر من اجل ذلك ويضحى بحياته ومستقبله ، فذلك ما لا يعقل فى نطاق الواقع الانسانى.

ومارسيل ايمى يكاد يعمم هذه العملية فى رسم جميع اشخـــاص مسرحيته .

قصة

الليل والعقيق الاسود

بقلم :
صبرى احمد

نقر الباب ثلاث مرات . الباب الخشبية ذات الشقوق ، والازيز واليد الحديدية . وتخطى العتبة . رجلاه الفتا تلمس ارض البهو فى الظلام . وصدره يندفع توا الى حيث ضوء شمعة خافت فى قعر بيت . ماذا اصابه هاته المرة ؟ عيناه تجولان وكأنهما فى مكان غريب :

الخابية الشاحبة البياض . يتغشاها الطحلب الكسول ، حتى العنق . والغطاء الخشبى موضوع على شكل غير مضبوط . والغراف الازرق الصدىء القعر ،

انه يعرفه . كم مرة شرب منه دون ارتواء . الجدار ذو الشقوق يتساقط منه الجير لمجرد اللمسة البسيطة. الرسوم المرسومة بالفحم : مثلث يشير الى قلب او قلب كالمثلث وشجرة كبيرة جدا فى اصيص صغير جدا . شجرة سوداء فيها ورود وليست لها اوراق ويد مرسومة بالحناء . ونعل حصان فى صدر البيت ملصقة بالمسامير . مرآة نصفها لم يعد يعكس المرئيات ، وصورة فوتوغرافية من حجم ٢٤×١٨ فى وسطها امراة بجانب كرسى عليه اصيص فيه أعشاب كثيرة تلبس القفطان والدفينة ويمتد على طول صدرها الى اسفل حزامها

سالف من الشعر الاسود وفى وسط جبينها وشم يمتد الى مفرق حاجبيها ووشم آخر فى ذقنها ، وعلى وجهها ابتسامة ذابلة كورد الكاغد المملوء بخرء الذباب . الضوء الخافت يحرك الضلال فتصبح ذات تمابير غريبة قرنا صرصور يجوب السقف تتحركان فتتطاون ظلالهما ، تتطاول ومائدة خشبية ضيقة فى فمها الشمعة التى احترق نصفها وتقاطر النصف الاخر قطرات جامدة . وسيولا على طول القنينة وحصير اصبح كالارض. لاشىء يميزه عن الارض الا الحبال الناتئة كالعروق فى وجه شطاء عجوز . وانتهى المطاف بعينى عبد الكبير على جبين ذى تجاعيد ثلاث ووسم يمتد الى مفرق الحاجبين وعينين مخلفتين فى الاتساع قليلتى اللمعان وشفتين لامعتين من انكاس الضوء على سنى الذهب الوحيدتين الباقيتين فى الفم المنتفخ ببعض الشىء وذقن يهتز فيتراقص معه الوشم . وعلى الوجه ابتسامة حية . واوداج العنق المديد المزدان بخيط من العقيق الاسود تهتز فى حركة دائبة . ورجع به البصر مكرها الى الارتكاز فى العينين المختلفتى الاتساع . وتنغلق الشفتان لتنفتحا عن كلمتين :

— عبد الكبير ؟

فيستيقظ ويطلق العنان لانفاسه كى تخرج متنغمة فى تنهيدة طويلة . وكانها كانت سجينة فتحررت ..

— العالية .

— ماذا بك هاته الليلة ؟ اجلس.

— العالية

— اجلس

— العالية

— آه ، عرفت ، ليس هاته الليلة الا ..

ـــ . . . خمسة .. اعرف ذلك ، كالعادة

ـــ لا . . . سبعة .

ـــ اذا . وسبع شمعات

ـــ بالضبط .

ـــ أتعشيت ؟

ـــ اشبعت رجلا فاشبعنى خبزا

تتحدث العالية ويداها تفكان منديل راسها فتظهر ثقوب فى صدر جبينها وابطيها من حيث يبدو لحمها الشديد البياض . والابتسامة لا زالت حية على وجهها .

السرير . آه السرير ان عينى عبد الكبير لم تهتما به عندما كانتا تتجولان . او لعل لمعان عينى العالية اوقفهما عن تتبع التجوال .

السرير، مرتفع عن الارض بحوالى ٧٠ سنتيمترا وله فراش محشو بالحلفا تظهر من بعض الثقوب والمزق المنتشرة هنا وهناك . واسفله . عالم آخر مفصول عن باق البيت بحجاب من الثوب المشجر تبدو عليه رقعتان كبيرتان فى الجهة اليسرى .

الى هناك دخلت الغالية وهى تدب على يديها وركبتها وساقاها تظهران شديدتى البياض .

ـــ لا تمعن النظر فى ساقى وما فوقهما و . . .

ـــ انا لا افعل ذلك

ـــ وماذا تفعل ؟

ـــ انظر الى الصورة

ـــ افضل ان تنظر الى ساقى الان على ان تنظر الى الصورة

ـــ لماذا ؟

ـ لانها تذكرنى بشبابى الذى حكيت لك منه ما تعرف .

ـ همهه .. (يجب وعيناه لا زالتا فى الصورة والعالية تبحث تحت السرير وتواصل الكلام) .

ـ كلما استيقظت صباحا اواجهها فابكى . .ابكى وتبرد حرقتى تلك الابتسامة . فقط . لانها الوحيدة التى تستطيع ان تفعل ذلك ولانها وحدها ما بقيت املك . هيه .. هيه (وتخرج القهقرى من تحت السرير تجر قفة تصطدم فيها الزجاجات فتحدث رنة لطيفة .

ـ ابو العوان ؟

ـ لا .. سيدى

ـ اسيدى

ـ سيدى المربى

ـ هل اكلت ؟

ـ قلت لك : اشبعت رجلا فاشبعنى خبزا ، واشتريت خمرا .

ـ اين الشمع ..؟

اعتادت العالية ان تشعل اول شمعة بعد شرب القنينة الاولى واطفاء الشمعة السالفة بعقب الكاس .

ـ اننى احس بعياء كبير الليلة ولن استطيع ان « اطبق القانون» يا عبد الكبير .

ـ لا . لا . شمعة بقنينة .. لابد . لابد ..

ـ لا استطيع . لقد وقفت اربع ساعات امام محطة الاطبوس .

اربع ساعات تخالفت فيها على المحطة ١٦ حافلة ، مسافرون يركبون وآخرون ينزلون وكلهم يشدون اوقاتهم الى اشغال وانا اشد

وقتى الى الانتظار ، كان بى جوع غريب لاننى لم آكل منذ امس الامس اربع ساعات . سمرت الابتسامة على وجهى . انا كما تعرف لا اضع الكحل فى عينى . لا احبه .

ــ ولكنك وضعت الاحمر فى شفتيك اليس كذلك ؟

ــ لا بد . لانهم يحبون الاحمر جدا ، اغبياء .

ــ ثم . . .

ــ . . ثم الشمعة الثانية نهاته ماتت . انسهـا عييـيـت كمـا عييت انا ونمت تماما لما ضاجعت الرجل الكريم . نمت نوما عميقـا وابحت له نفسى وتركت له الخيار والجسم . ونمت لاننى تعبت . اربع ساعات و١٦ حافلة و١٩٧ امراة و٩٥ طفلا . و١٧ شيخ و٤ ماسحى احذية ظلوا يدورون كالذباب يمدون صناديقهم عيسى احدا يريد مسح حذاءه بدون جدوى و٧ جنود و٩٠ شابا . و١٦ سائق و١٦ قابض .

حصيلة ١٦ حافلة

ابتسم لى خمسة وضربنى ١٢ باكتافهم دون جدوى سالت ١٧ رجل فى الساعة . كنت اعد السيارات لكننى تهت فى عد البشر .

مر امامى المقدم «الجلالى» . اننى اعرفه وهو يعرفنى جيدا . مسكين غبى ، ولطيف فى آن واحد بجلبابه وطربوشه الاحمر . مـر وقال بهمس وبسرعة :

ــ غدا الدقيق . وبعد غد انهمى راسك .

لا تسرع فى الشرب . ستشرب الباقى وحدك . لاننى متعبة .

ــ لا تتكلمى كثيرا ، حتى لا تتعبى اكثر

ـ قل لى : « لا تتكلمى اكثر حتى لا تقلقى سمعى » هيه !

ـ اكان معك كريمـــا ،

ـ انهم دائما كرماء فى اول الطريق. بخلاء فى آخرها. بدسل الشمعة .

انقطع الصخب فى الحى وخف تصايح الاطفال خارج الدار واصبح صوتاهما يتماظمان . واضافت العالية .

ـ انهم تماما عكس بيتى . يتضاءل فى النهار . ويعظم فى اخر الليل ،

اننى احبك .. (واتكات على ركبته فتزعزعت المائدة وسقطت القنينة وانطفا الضوء .

ـ سيدى العربى !!

• ـ لا تخف على سيدك العربى انه فى حجرى . ها انذا امسكها جيدا . اشعل الكبريت .

انطلق الضوء . العالية تحس وكان اطنانا على اجفانها . لا تزال متكئة على ركبة عبد الكبير الذى اخذ منها القنينة والصقها بفمه ، لان الكاس تكسرت ولانه لم يعد يستطيع النهوض الى الغراف او لعله اصبح يظهر له بعيدا بمئات الكيلومترات العالية تنام على ركبته .

ـاستيقظى . هيه .

لمتستيقظ فالصق فم القنينة بفمها وامالها .. حتى انتفضـــت

ـ اوه . . دعنى اتوسد ركبتك . النوم يقتلنى يا حبيبى .. ولكن . .ماذا تريد ان ارقص لك ؟ . . تتكلم وفى فمها سلاسل مـــــــن حروف ثقيلة تعلثم كلماتها . . ثم تنام .

طرق مزعج على الباب

ــ انه الحطاب . قم افتح يا عبد الكبير .

ــ انتظرنى قليلا .. واستفاقت العالية لكنها اسندت راسها على الارض وقبل ان يتخطى عتبة البيت دفن نصف القنينة فى جوفه .

ــ ادخل يا غول . اين كنت لحد الساعة

ــ فى الدار حتى خلت من دارنا الخمرة . (قالها وهو يغنـــى بصوت مزعج مرتفع كعبد الوهاب فى قطعة قيس وليلى). فقالت العالية فى تثاقل :

ــ هل اصبحت عبد الوهاب ؟

ــ انا دائما عبد الوهاب .

ــ اجلس

ــ العالية ؟ مالك ؟ . مريضة ؟ مريضة ؟ (قال الحطاب) فرد عبــد الكبيــــر

ــ فنيدة . وريدة .

ــ كل شىء الا فنيدة يا حبيبى . انا فريدة . ونامت تماما

ــ كـــــب

ــ فى يدك ؟

ــ ايـــن اكاس .

ــ ارضع يا غول .. اخذ الحطاب القنينة الرابعة بينما عبــد الكبير يشعل الشمعة الرابعة . من دون شعور تمتد يده الى شعـــــر العالية فتتخلله . وتنحدر الى العنق تداعب خيط العقيق .

ــ واحد اثنين ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ..

!

— ماذا تعد ؟ اتحسب لي الجرمات ؟

— ثمانية تسعة . عشرة .

— اتحلم ؟ انا لا اشرب الان .

— اشرب يا غول واسكت . انا اعد العقيق .

— آه ...

— احدى عشر ، اثنا عشر .. ثلاثون . واحد وثلاثون ..

— انه عقيق جميل

— ارأيته من قبل ؟

— نعم .. لا،لا . قالت لى العالية ذلك .

— وكيف تعرف انه جميل . هو اسود . اسود كالليل

— كالليل

— الليل يا ليل يا ليل .. واطال الموال بصوت اجش وعينيــن مغمضتين وفم اسود به بعض اسنان كقطع الحديد المحروقــــة

— اسكت اسكت ستوقظها

— انها تحب الغناء .

— دعها تنام فهى جد متعبه

وانحنى عى العقيق يمعن فيه النظر . كله اسود ما عدا واحدة بيضاء .

— لماذا هاته الواحدة بيضاء . يا غول ؟

— نجمة فى الليل . قمر !!

— لا ، لا ... هات القنينه

— خذ انها ستقول لك لماذا هاته العقيقة بيضاء فى عنق العالية

— بالطبع ، وشرب ..

ـــ لا تسرع فاتها الاخيرة .

واطال عبد الكبير النظر فى الحبة البيضاء .. وقال

ـــ سأسرقها لها ..

ـــ انا شاهد .

ـــ ومن طلب شهادتك ؟

ـــ ستطلبها منى غدا العالية

ـــ وما قيمة هاته العقيقة ؟

ـــ نجمة فى الليل . قمر

ـــ واحدة وثلاثون عقيقة سوداء وهاته العقيقة البيضاء

دعنى آخذها واتنازل لك عن بقية القنينة .

ـــ اتفقنا

وهم عبد الكبير يفك الخيط فلم يحركه ملتفا لان العقيقة كانت فى الوسط . وبينما هو يحاول اذا انتفض الحطاب وارتمى على العنق وجذب الخيط بشدة وهو يمسك بالعقيقة . فتقطع الخيط وترامت بقية العقق على الارض .. فاغتاظ عبد الكبير . وترك راس العالية يسقط ومسك بشدة على يد الحطاب . ومن دون حديث اخذ يتصارعان لكما ورفسا . فسقطت القنينة التى تحمل الشمعة وانطفا الضوء . ومد الحطاب يده يتلمس الارض واخذ قنينة وكسرها . ثم شرع يبحث عن عبد الكبير .

صراخ كبير . عويل . الجيران . البوليس .

العالية تبكـــى

ـــ اسكتى يا فاجرة . يخاطبها بوليس فى مركز الشرطة ودخل شرطى آخر فقال ..

— مـات ..

— بلا شك . عبد الكبير

— والاخر مبقور البطن مشوه الوجه . يا لطيف . منظر مفزع . لا زالت العالية تبكي .

— مات وفي يده كمشة عقيق .

اذ ذاك تلمست العالية عنقها .. فتكاثرت ادمعها .. وتغضن وجهها اكثر .. وبينما هي في سيارة جيب الى مركز آخر .. قالت من دون أن تشعر .. وهي تنتحب :

— شتتوا عمري .. واحد وثلاثون سنة من العذاب واليتم وكلما زاد عمري سنة كنت اضيف الى الخيط عقيقة سوداء . عمري اسود . كله اسود . ليل حالك .. الا سنة واحدة . آه يا عبد الله ليتك بقيت حيا ولم تمت بعد مرضك المفاجيء .. عمري كله ليــل .. أنهم شتتوه ، شتتوه ولم يتركوا الي منه اي شيء .. حتــــــــى السنة البيضاء .

— اسكتي يا فاجرة ..

١٩٦٣/٩/١٠

بــريــد المجـلة

لم نكن نقدر أن هذه المجلــة الوليدة بعددها الاول ستحدث كل هذه الاصداء الطيبـــة فى نفوس جمهور غير قليل من المثقفين ، وان الاعجاب الذى عبر عنه عدد كبير سواء برسائلهـــــم او باحاديثهم ، جعلنا نحس مــرة اخرى بمسؤولياتنا ، ونضاعــف شعورنا بعبء الرسالة ، بيــد اننا لا نشك مطلقا فى ان هـــذا الاعجاب وهذا الحماس الــذى قوبلت به المجلة سيمنحنا طاقة كبرى على العمل ، وسيكون لنــا حافزا على مواصلة السيـــر للوصول بهذه المجلة الى ابعــد مدى من التقدم والتطـــور والتكامل . . .

وقد حمل الينا البريد بالاضافة الى رسائل الشكر والاعجاب عددا من المقالات والقصص والمسرحيات آثر اصحابها نشرهـــا فى هـــذه المجلة ، واذا لم نتمكن من نشر جميع ما يرسل الينا فقد احببنا فى هذا الركن ان نوجه بعـــض الملاحظات للاخوان الذين لم نتمكن من نشر مقالاتهم شاكرين لهــم اهتمامهم بالمجلة ، وراجين ان تكون هذه الملاحظات توضيحــا للاطار والخطة التى تسير المجلة بمقتضاها .

ــ بعث الينا الاخ **البكــرى احمد السباعى** بتحليل ونقـــد لقصة «التحدى» التى نشرت على صفحات مجلة الاداب البيروتية ،

ومع تقديرنا الكامل للقصـــة والتعليق فاننا لا نستطيع مبدئيا ان نتناول بالدراسة او التحليـل انتاجا نشر على صفحات مجلـة اخـرى .

— اما الاخ **البوكيلى محمد** فقد بعث لنا بمسرحية طويلة لا تخلو من جهد ، وقد اتضح لنا مـن قراءة المسرحية ان الكاتـب يتمتع بقدرة خلاقة تبشر بمستقبل كبير ، غير ان لنا ملاحظة علـى محتوى المسرحية فموضوعها الذى يشير الى الطمع والتكالب علـى المادة موضوع مطروق جدا وقديم، لم يستطع الكاتب ان يخرج بـه عن ابعاده ونتائجه المعروفة ، كما ان البناء المسرحى يعتمد علـى الصدف والمفاجآت التى لـم يبذل الكاتب اى جهد لتجريدهـا من طابع الصنعة والافتعال، ولا بأس كذلك من الاشارة الـى اللغة ، لقد اعجبنا ببساطتها ، ولكننا لا نستطيع تجاوز الاخطاء الكثيرة والتغاضى عن بعـض التراكيب المهلهلة .

— كتب الينا الاخ **بوجمعـة احمـد** طير قصة هى فى الواقع عبارة عن سرد لحوادث ، قـد تكون واقعية او غير واقعيه ، ولكن الاخ بوجمعة يعتقد ان القصة تستمد كل قوتها من الانفعال الذى تتركه بمجرد الاستماع لوقائعهـا وملابساتها المؤلمة ، ناسيا ان العمل القصصى والعمل الفنـى بوجه عام ، عملية خلق جديـدة يصطبغ فيها الحدث بقطع النظر عن اصوله الواقعية ، بلون جديد ومعنى جديد ، وقد لاحظنا ان قصة الاخ بوجمعة عبارة عـن جمع وثائق وشهادات ورسائل لم تستغل استغلالا فنيـا لتكـون موضوع قصة جديرة بالحـدث الذى اختاره .

ـ اما الاخ **ميلود علــى** فان المسرحية الفى قدمها الينا رغــم انها تدل على خبرة بالعمــــل المسرحى ، تكاد تكون عادية ،ان الحوار الذى يجرى على لســان ابطالها لم يترك اى اثر فـــى نفوسنا ، وان ابطال المسرحيــة رغم تناقضهم وتفاوت اهتماماتهم (شحاذ ، شرطى ، مومس، غنى عجوز ، شاب الخ ..) كانــت العبارات التى ينطقون بها خالية من اية ايحاءات ، وكان مــــن الممكن استغلال هذه التناقضات لاحداث آثار قوية وفنية فى نفس القارىء .. ولاحظنا ان الكاتب استعمل بعض الشخوص التــى بقيت غريبة عن جو المسرحيــة وكان حوارها زائدا ، بحيث لو حذفناها لما شعرنا باى خلل او اضطراب ..

ـ وبعث الينا الاخ **المقدم محمد** بقصيدة تنبىء بشاعرية نامية لا يسعنا الا ان نبارك محاولاتهــا الاولى ، ونحن نتطلع الى انتاجه القادم الذى سيتوفق فيه علــى الانتاج الذى بعث به الينا ...

وقبل ان نودع الاخوان الذين كاتبونا نتمنى ان تكون دومــــا عند حسن ظنهم بنا ، وان تظل هذه الرابطة الفكرية مستمــــرة ووطيدة راجين ان تكون هــــذه الردود حافزا قويا على متابعــة عملهم الفكرى حتى يصبح عطــاء نافعا وممتعا ، والى اللقاء .

اقـــلام

أنبـــاء ثقـافيـــة

* « جريمة فى الكاتدرائيـــة » مسرحية كان قد كتبها الشاعـــر الانجليزى ت.س. اليوت، عندما اخرجتها الشاشة اخيرا ، رفض اليوت رؤيتهـــا لان المخــــرج السينمائى ابتعد بها كثيرا عـــن واقع المسرحية .

*** قام الاستاذ احمد المنونـــى اخيرا بترجمة مسرحية الى اللغة العربية الدارجة تحت عنـــوان « البرادة تهرست » للكاتـــب الالمانى كلاست . المسرحيـــة ستمثلها فرقة « مسرح الفصول » بمدينة مكناس .**

* كتب توفيق الحكيم، فى الايام الاخيرة مسرحية بعنوان الطعام لكل فم .. لم ينهج فيها طريقـــة اللامعقول كما فعل فى سابقتهـــا يا طالع الشجرة .

*** المسرحيات الثلاث : يرما ، وعرس الدم ، والاسكافيـــة العجيبة للكاتب الشاعر فريدريك لوركا ، ترجمها الدكتور عبـــد الرحمن بدوى، وطبعت بالقهارة.**

* « من الذى يذكر البحـــر » رواية للكاتب الجزائرى محمـــد ديب، عالج فيها حياة الانســـان الجزائرى الحديث وارخ فيهـــا فترة من تاريخ الجزائر البطولى ، ترجم الكتاب الى اللغة العربيـــة فريد انطونيوس ، وراجعـــه انطون مقدسى .

٭ «الانتظار والمطر» مجموعة قصصية للكاتب العراقى موفق خضر ، وقبل ثلاث سنوات صدرت لنفس الكاتب رواية بعنوان : « المدينة تحتضن الرجال » وكان وقتذاك وجها جديدا بين الكتاب العراقيين ، وقلما شابا يسعى فى صدق وحرارة ، ان يعبر عن قطاعات مختلفة من الحياة، ومن جوانب النفس الانسانية بكل ما فيها من خير وبساطة وسذاجة وشر .

٭ اشرف الدكتور صبرى القبانى على اصدار مجموعة قصص تحت عنوان « قلوب الاطباء » ، والقصص فى هذا الكتاب ليست قصصا مهنية تهم الاطباء وحدهم ، وانما هى قصص واقعية صادقة نبتت من الحياة وامتازت عن سواها بانها استقطبت حياة البشر جميعا. [illegible] بعض صور الحياة هذه التى تضمها المجموعة قد كتبت باقلام عدد من الاعلام ، وفى مقدمتهم ارنست همنجواى وانطون تشيخوف . والمجموعة تحتوى على ثلاثين قصة .

٭ « قطعة شمس» مجموعة قصائد حديثة للشاعر فاروق مردم ، قسمت الى ثلاثة اقسام : مزامير جزائرية — الارض والبشر — حين نبلغ العشرين ، قدمها بمقطع من قصيدة لبابلو نيرودا التى يقول فيها : «لينبش حفارو القبول مادة الشؤم — لينثروا ذرات الرماد الاسود — وليتكلموا بلغة الدود — اما انا فليس امامى غير البذر — والعذوبة وابرسوم اللولبية الساطعة .

٭ الديوان الشعرى الثانى الذى صدر للشاعر صابر فلحوط « موج البطولة » قال فيه الدكتور

حبيب حداد فى مقدمته : « ليس الشعر فى التراث الانسانى اقدر على اظهار عظمة الشعوب فى اوج وثبتها وانعتاقها ، او تصوير صمودها فى طور كبوتها ورقادها، وليس اجل منه على الاطلاق فى كل القيم الحضارية خلودا على مر الزمان واصالة فى ثروة الايام . فيه تنطبع ذكريات الامة فى سالف ايامها ، ومن خلاله تتجلى صبوتها ومطامحها لبناء غدها . وهو ارفع الوان الفن واقدسها رسالة، ومن هنا تبدو مسؤولية الشاعر صاحب ذلك الفن وحامل تلك الرسالة .

*** « صامدون » ديوان شعر للشاعر الشاب محمد على الهوارى . قال فيه عبد الوهاب مروان فى مقدمته : « انه توكيد مطلق يطبع به الرفاق الافذاذ مصيرهم النضالى حتى النهاية فى عالم مرفوض بكامله ، انهم يحملون فى كل وقت ــ نيابة عن شعبهم واصالة عن انفسهم ــ هذا القرار الثورى الذى يطالب بعالم بديل يكافىء حقائق وحاجات الكادحين ...»**

* « غرفة بملايين الجدران » الكتاب الثانى للشاعر محمد الماغوط . سبق للشاعر ان نشر كتابا بعنوان : « حزن فى ضوء القمر » .

*** « تاريخ العمل » من تاليف فرنسوا باريت وترجمة فائزكم نقش صدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومى للجمهورية العربية السورية ، ويقع فى ٢٣٥ صفحة .**

* اقيم للفنانة العربية الكويتية منيرة القاضى معرضا خاصا فى « النيو فيجن غالارى » فى لندن ، وكتبت عنها الصحف اللندنية قائلة : « فنانة عربية تغزو لندن بلوحاتها الفنية الواعية » .

ومنيرة القاضى لا تنتمى لاية مدرسة معينة فى الرسم ، فهى تمزج الحضارة الشرقية مع الحضارة الغربية .

وكانت الفنانة قد استقرت فى لندن منذ سنة ١٩٥٩ ،واقامت معرضها الاول فى هذه المدينة سنة ١٩٦٠ واقامت معرضها الثانى فى مدينة « درهام » عام ١٩٦٢ .

واشتركت فى معرض الفنانين العرب الذى اقيم لهم فى لندن وكان تحت باشراف الناقد الشهير السير هربرت ريد .

*** كثرت فى الايام الاخيرة سرقات المتاحف بصورة مريعة ، وبات المسؤولون عن المتاحف فى تشديد حماية التراث الوطنى حفاظا عليه من الضياع وان كانت اكثر تلك السرقات تعود فى نهاية الامر الى محاربيها دون ان تعود باية فائدة على السارقين ، وفى اواخر بيراير الماضى وقعت سرقة فى متحف بروكسيل وكانت الضحية الفنان روبنس رسم فيها وجه زنجى فى اوضاع مختلفة ، وقد قدر الخبراء ثمنها بـ ٢٠٠ ٠٠٠ دولار . واللوحة المسروقة ، كما تشير سجلات المتحف ، كان قد رسمها صاحبها عام ١٦١٥ . وهى من بين اربعين لوحة من لوحات روبنس الموزعة فى انحاء بلجيكا ، وقد دخلت المتحف عن طريق ثرى بلجيكى كان قد اشتراها من باريس عام ١٨٩٠ بمبلغ ١٦٠٠ دولار .**

* اكتشفت فى احدى كنائس ايطاليا لوحة للفنان الفرنسى دولا كروا الذى احتفل العالم باسره فى اواخر العام الماضى بمرور مائة عام على وفاته .

وقد بيعت اللوحة المذكورة بمبلغ ٢٥٠ الف دولار ، ولا غرابة

فى ذلك لان الفنان يعتبر صاحب مدرسة فنية جديدة حطمت القيود القديمة وانطلقت نحو مبادىء جديدة ، انها المدرسة الرومانطيقية .

* وافقت ادارة المتاحف فى فرنسا على اعارة تمثال ربة الجمال فينوس الى اليابان لعرضه خلال المهرجان الرياضى الدولى الذى سيقام هناك فى اواخر الصيف الحالى ، وتمثال فينوس يعتبر من اهم القطع الفنية التى يضمها متحف اللوفر بباريس ، ولذا اتخذت له كافة الاحتياطات الضرورية لوصوله سالما .

عباس محمود العقاد

(١٨٨٩ — ١٩٦٤)

نعت القاهرة وفاة الكاتب والفيلسوف والباحث والشاعر والصحافى السياسى المناضل المرحوم عباس محمود العقاد فى يوم ١٢ مارس الماضى عن ثلاثة وثمانين مؤلفا تشتمل الوانا مختلفة من الفكر والادب والشعر والقصة والبحث والتاريخ والحضارة ، وشيع جثمان الراحل على نفقة وزارة الثقافة والارشاد القومى .

* لم يكن يحمل من الشهادات سوى الشهادة الابتدائية ، وقيل عنه : ان العقاد تخرج من جامعة العقاد .

* تنبأ له الشيخ محمد عبده بانه سيكون كاتبا عظيما . وهكذا كان ، وكانت امنيته هو ان يصبح مهندسا زراعيا او ضابطا .

* عمل فى الهاتف ، ثم فى الاوقاف بالقاهرة ، ولكنه رمى بالوظيفة ليمسك الكتاب .. اى كتاب .

* ذاق مرارة السجن تسعة شهور لانه قال فى البرلمان : « اننا نسحق اكبر راس فى الدولة اذا ما وقف حائلا ضد رغبة الشعب فى اصدار القانون ».

* كان يعيش من قلمه فقط .

* كان يقول : « كلما ازددت معرفة ازددت شعورا بما اجهل . ان عالم المجهول الان كما اراه اوسع مائة مرة منذ كنت اعتقد عندما بدات حياتى . اننى اقرأ لانى لابد ان استوضح شيئا جديدا .

******

الى حضرات المؤلفين والناشرين

ترجو المجلة من من المؤلفين الكرام ، او المكتبات ، ودور النشر ان يوافوها بالجديد من انتاجهم ، وهى مستعدة للاعلان عنه والتعريف بـه ، وستتناول فى ركن خاص بين الحين والاخر . بعض الكتب الهامة بالدراسة والتحليل .